

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع



الفلسفة السياسية عند

ميشيل فوكو

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبتين :

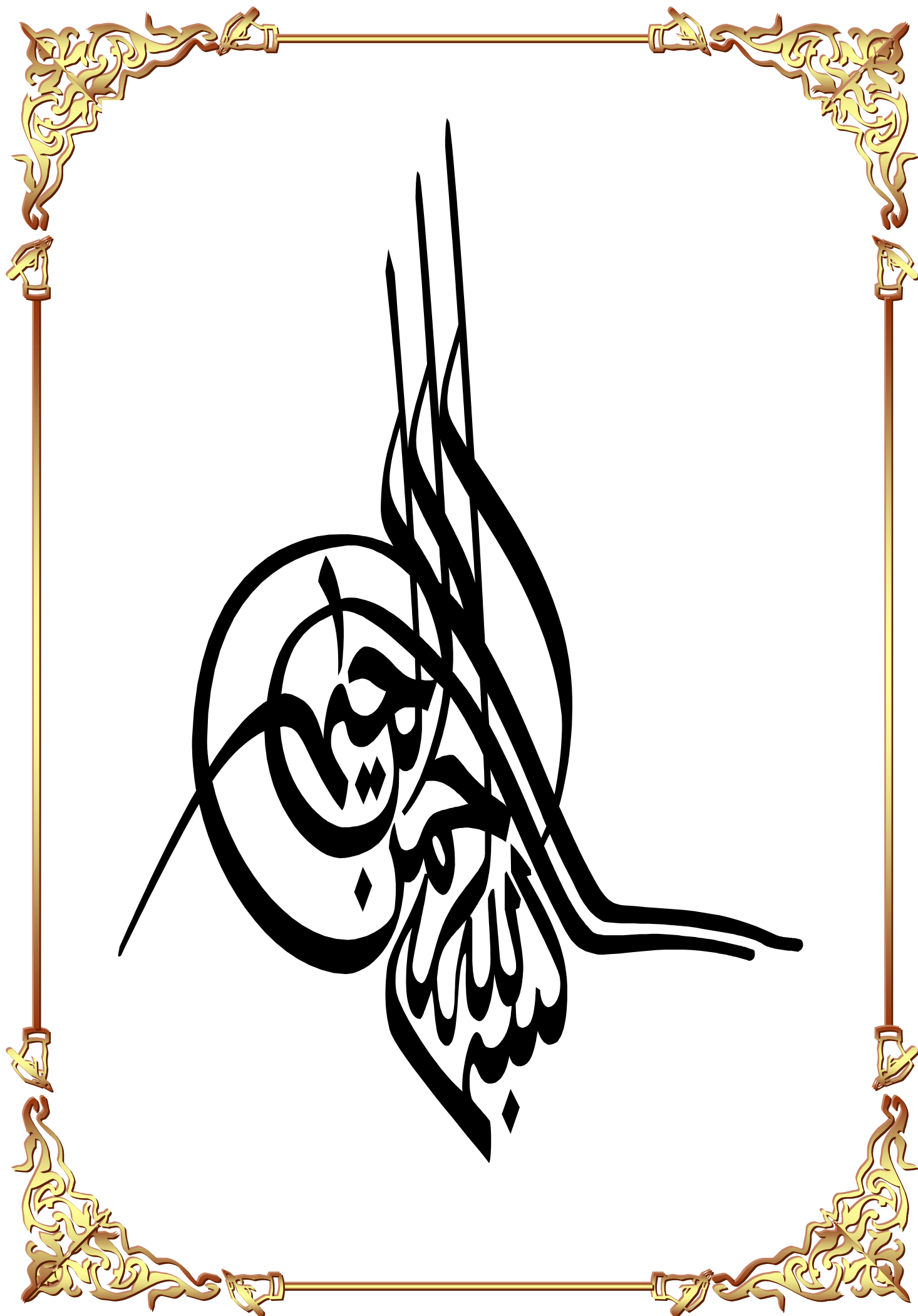
صغيري سليمة

عمراي لويزة

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	خوضر رياض
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	خشعي عبد النور
مناقشا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	أرفيس علي

السنة الجامعية: 2018/2017



شكر وتقدير:

الحمد لله ثناؤه الجميل بلاؤه الجزيل عطاؤه نحمده على ما أبلغ من النعمة أظهر من المنة
ويسر من العسر وقرب من النجاح وقدر من الفلاح نحمده على الآلاء ونشكره على
النعم ونستعين به من الشدة والرخاء .

وعرفانا بالجميل وبأسمى آيات الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الفاضل "خشعي
عبد النور" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل وتعهده بتوجيهاته لنا .

كما تقدم بشكرنا وتقديرنا واحترامنا لأساتذة قسم الفلسفة وكلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد بوضياف كما أتقدم بالتحية والشكر إلى
السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم عبء قراءة هذا العمل و
تقييمه .

وفي الأخير نشكر طاقم "مكتبة النجاح" وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو

بكلمة تشجيعية .

سليمة - لويظة

مقدمة

تعتبر الفلسفة السياسية من بين المجالات التي أخذت اتجاهين، اتجاه يرى بأن السياسة مرتبطة بالمركزية الفوقية وأن السلطة تكون في يد الحكام فقط وبالتالي هذه النظرة تقوم على أساس عاملين هما عامل المجتمع والحقوق وعامل الدولة والقانون. وبالتالي هذا التصنيف إن صح التعبير كان قديما أما مع ميشيل فوكو كما يعتقد جيل دلوز أعطى تصورا جديدا للسلطة بعدما كانت السلطة في البنى الفوقية أصبحت السلطة موجودة في أنحاء المجتمع.

ويعد الفيلسوف الفرنسي¹ ميشيل فوكو من أبر فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، الذين ناقشوا عدة مسائل منها مسألة الجنون والجنس والمعرفة وكذا المسألة السياسية، التي أسس لها فوكو من خلال بناءه للمنظور الفلسفي للسلطة، والذي تعارض فيه مع ما سبقه من الأطروحات التقليدية حول موضوع السلطة في المجتمعات الغربية، فهو يعمل على نموذج جديد للسلطة الذي أراد من خلاله بناء رؤية خاصة به، ففوكو حاول أن يقدم تنظيرا فلسفيا يعالج من خلاله الإشكالية الحديثة للسلطة منطلقا من فرضية أساسية مفادها أن السلطة شيء غامض وغير واضح، لذا لابد من اكتشافها والتقيب عنها وكأنها مناطق غير

¹ميشيل فوكو: مفكر فرنسي (1926-1984)، حصل على شهادة التبريز في الفلسفة، ودرس في كلية الآداب في كليرمون قبل ، شغل كرسي تاريخ مذاهب الفكر في الكوكيج دي فرانس بباريس.

توقف كفيلسوف عند الحدود غير المعروفة كثيرا بعد بين الاستومولوجيا وتاريخ العلوم ليتحرى عن الأحداث التي صنعت منذ مطلع القرن السابع عشر عقلانية الحضارة الحديثة.

من مؤلفاته: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي 1961، ولادة العيادة 1963، أركيلوجيا المعرفة 1969، إرادة المعرفة 1976، تاريخ الجنس 1984.

أنظر: جورج طرابيشي معجم الفلاسفة المناطق المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص 469-470.

معروفة لذا وجب البحث عنها، محاولا بذلك أن يحصر السلطة في مجال حيوي في مختلف جوانب الحياة الإنسانية.

وهذه الرسالة التي سنقدمها هي البحث في هذا الجانب، وقد يدفعنا هذا البحث أيضا إلى الانفتاح والتعرف على المنهج الحفري لدى فوكو، بغية توضيح معنى الأساليب السلطوية التي كانت تمارسها السلطة على الأفراد، وبهذا لم يهتم فوكو بأصل وماهية السلطة بل بكيفية تحققها وممارستها.

فقد كانت السلطة فيما مضى تمارس أشكال العنف بالإعدام والقتل العلني في الساحات العامة، وهذا ما أدى إلى القيام بثورة مضادة ضد هذه التعسفات السلطوية عرفت بالثورة الفرنسية الفوكوية، بوضع آليات جديدة هي الاهتمام بالإنسان الممارس عليه كل مظاهر القمع. لإنزال الحكم والعقوبات القمعية والخوف الذي كان يكتنف حياة الأفراد ومن خلال هذا يمكن لنا صياغة الإشكالية الرئيسية على النحو التالي:

- ✓ ما هي طبيعة السلطة السياسية في فلسفة ميشيل فوكو ؟
- ✓ وهذه الإشكالية العامة تتطوي على جملة من التساؤلات الثانوية تمثلت في:
- ✓ ما هي السلطة في فلسفة ميشيل فوكو السياسية ؟ هل هي واحدة أم متعددة ؟
- ✓ وفيما تمثلت الأسس الفلسفية التي انطلق منها فوكو لبناء مفهوم السلطة ؟
- وما علاقة السلطة بكل من المعرفة والذات في تأسيس الخطاب ؟
- ✓ كيف نظر فوكو لملامح الدولة والمجتمع في السلطة ؟

كما التزمنا بخطة مكونة من ثلاثة فصول يندرج تحت كل فصل من ثلاث إلى أربع مباحث وفقا للترتيب التالي:

الفصل الأول بعنوان: موقف فوكو من الأطروحات التقليدية للسلطة

وقمنا في هذا الفصل بتوضيح أهم الانتقادات التي قدمها فوكو للأطروحات الكلاسيكية حول مفهوم السلطة وتناولنا في المبحث الأول نقد النظرية الليبرالية أما المبحث الثاني تناولنا فيه نقد الماركسية. أما المبحث الثالث تناولنا فيه مفهوم السلطة عند فوكو ليعطي بذلك مفهوما مغايرا لما كانت عليه في السابق.

أما الفصل الثاني فعنوانه ب: السلطة من منظور فلسفي فقد بينا في هذا الفصل علاقة السلطة بالمعرفة ووضحنا فيه تلك الآليات السلطوية التي سيطرت بها على الإنسان كما تطرقنا فيه إلى إبراز العلاقة التي تربط السلطة بالذات في إنتاج الحقيقة وينطوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث وتناولنا في المبحث الأول السلطة والمعرفة أما المبحث الثاني تناولنا فيه السلطة بين الصراع والسيطرة. أما المبحث الثالث تناولنا فيه السلطة وعلاقتها بالذات والحقيقة .

- أما الفصل الثالث والأخير جاء تحت عنوان: نظرية السلطة بين الدولة والمجتمع وقد تمحور هذا الفصل حول توضيح رؤية فوكو للدولة والمجتمع إضافة إلى عرض أنواع السلطة وإبراز الحرية والتسيير العقلاني في الحكم. ويضم هذا الفصل أربعة مباحث فقد عالجنا في المبحث الأول السلطة والدولة وتناولنا في المبحث الثاني فيه السلطة والمجتمع. أما المبحث الثالث تناولنا فيه أشكال السلطة ونختم هذا الفصل بمبحث رابع وأخير الحرية والعقلانية في الحكم.

- وفي الأخير ختمنا هذا البحث بخاتمة قدمنا فيها حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها ومحاولين بذلك الإجابة على الإشكالية الرئيسية.

وتبيننا في هذا البحث المنهج التحليلي من خلال تحليل أفكار فوكو كما اتبعنا المنهج النقدي ، وفقا ما اقتضت الحاجة، وهذا التعدد في المناهج راجع إلى طبيعة

الموضوع باعتبار أن فوكو قام بالتقريب والحفر في تاريخ الحضارة الغربية عبر أزمنتها المتعاقبة.

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع راجع بالدرجة الأولى إلى أسباب ذاتية تمثلت في حب إطلاعنا للمعرفة خاصة في المجال السياسي الغربي المعاصر، أما من الناحية الموضوعية فكان اهتمامنا بحيز لم يسبق تناوله والتطرق إليه من قبل وهو المنظور الفلسفي السياسي عند ميشيل فوكو.

أما الأهداف المنشودة من هذا البحث تمثلت في التعرف على الفكر السياسي الفوكوي المتمحور في السلطة بمختلف استراتيجياتها وأنماطها.

واعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع وكانت كلها باللغة العربية أهمها: يجب الدفاع عن المجتمع، المراقبة والمعاقبة، أما فيما يخص المراجع من بينها: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، إضافة إلى مقال مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ومقال نقد فوكو للنظرية الليبرالية في السلطة.

ونريد من دراستنا هته إثراء هذا الحقل الفلسفي بهذا البحث الأكاديمي من أجل إثراء رفوف مكتبتنا، ولإفادة والاستفادة، وفي الأخير نأمل أن نكون قد قدمنا عوناً لكل باحث في هذا المجال ولو بالقليل.

وفيما يخص الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا هي صعوبة التعامل مع النصوص الفوكوية بمصطلحاته الغامضة فليس من السهل فهم أفكار فوكو، إضافة إلى تكرار الأفكار المتواجد في المصادر والمراجع خاصة مصطلح السلطة، غير أننا حاولنا قدر المستطاع جاهدين تفادي هذا.

الفصل الأول

موقف فوكو من الأطروحات التقليدية للسلطة

المبحث الأول: نقد النظرية الليبرالية

المبحث الثاني: نقد الماركسية

المبحث الثالث: مفهوم السلطة عند فوكو

المبحث الأول: نقد النظرية الليبرالية

إن المجتمع الليبرالي يقوم على أساس العقد، الذي تستمد منه الالتزامات الاجتماعية، بحيث تدعي هذه النظرية الليبرالية* أن الناس لا دخل لهم في تصرفات بعضهم البعض في الحياة. وما يجب مراعاته من طرف الأفراد، هو أنه يجب على كل فرد أن يراعي مبادئ أساسيين: أولهما عدم إلحاق الضرر بمصالح الآخرين والتي هي بمثابة حقوق لهم بموجب النص القانوني الإلزامي، أما المبدأ الثاني وهو أنه يجب على الفرد أن يتحمل مجمل الأعباء التي يفرضها عليه المجتمع وحمائته وعدم إيذائه بالآخرين فمتى قام الفرد بمساس مصالح الآخرين وحقوقهم من خلال إلحاقه الأذى والضرر بهم، حق للمجتمع أن يتدخل لمنعه، فهذه النظرية تعمل على تنمية الصالح العام للمواطنين.² وعليه فإن الليبرالية تعطي المجال الواسع للأفراد بأن يمارسوا حرياتهم دون إكراه من قوى غريبة، كما أنها تسعى إلى تحقيق التصورات الفكرية للناس.

وقد قام فوكو بنقد أهم المسلمات التي بني عليها التصور الليبرالي للسلطة تمثلت فيما يلي:

* النظرية الليبرالية: أول من استخدم هذا المصطلح لأول مرة في إنجلترا في بداية القرن التاسع عشر وقد أطلقه حزب المحافظة على خصومه (...) والليبرالية نظرية اقتصادية تقوم على مبدأ المنفعة الشخصية (...) كما أن الليبرالية نظرية سياسية ترقى إلى مستوى الإيديولوجيا إذ تزعم أن الحرية أساس التقدم.

أنظر مراد وهبة: المعجم الفلسفي، (الليبرالية)، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، 2007، ص. 159، 158.

1- جون ستيوارت مل: أسس الليبرالية السياسية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل ميتياس، مكتبة مدبولي، القاهرة، دط، 1996، ص. 207، 208.

1- نقد سلطة الدولة التي تتجلى في القانون:

إن النظرية السياسية الليبرالية تستند على مسلمة جوهرية والتي تعتبر أن الفرد هو العنصر الأول والأساسي في بناء أي نظام سياسي واجتماعي، يكون هذا النظام من خلال إجتماع وتفاهم واتفاق بين الأفراد المؤسسين له، هذا الإتفاق يكون في شكل عقد يتفق حوله هؤلاء الأفراد، بحيث يتخلون بمقتضاه عن جزء من حرياتهم لتلك السلطة من أجل تنظيم المجتمع ومن أجل الأمل في تحقيق السلم والأمان، هذا من جهة ومن جهة أخرى القضاء على العنف والخوف والموت، لذا يجب على الأفراد الخضوع له بالرغم من أنه يتعارض مع ميولاتهم الغريزية ذات الطابع العدواني، إذ يجب على الأفراد إحترام ذلك القانون باعتباره قانونا صحيحا في ذاته كونه يحميهم من الضرر، فهم إذن مدفوعون إلى احترامه لأنه ينقذهم من خطر الحروب والموت العنيف الذي يكتنف حياتهم فهو يحافظ على حياة الأفراد، إذن فالعقل يلزم البشر بأن يحافظوا على حياتهم ومن هنا يلزمهم على الخضوع لهذا القانون الذي يعمل على الحفاظ على حياتهم.¹ وبهذا الليبرالية قامت على أساس الفر دانية، واحتضنت الفرد واعتبرته المشكل لكل نظام ولكل تجمع سياسي.

وقد تبلور هذا الفكر القانوني في المجتمعات الغربية في العصر الوسيط الذي يتمحور حول السلطة الملكية من أجل مصلحتها وخدمتها، وقد تطور هذا المفهوم للسلطة على يد الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز الذي هو الآخر يضع السلطة المطلقة في يد الملك، ليحدد هذا الأخير مصائر الرعية. فهوبز يصف السلطة على أنها تلك الروح الإصطناعية التي تعيد تجميع الأفراد الذين كانوا في حالة تشتت، بفعل الصراعات والحروب والفوضى ليجمع هذا الشتات في جسد إصطناعي واحد

¹ - أشرف حسن منصور: نقد فوكو للنظرية الليبرالية في السلطة.

www.m.ahewar.org/a.asp?aid=18907&r=015:20، ص1.

يطلق عليه ما يسمى بالدولة، باعتبار أن هذه الأخيرة هي التي تنظم حياة الناس فهي مصدر السيادة المطلقة الموضوعة في يد الحاكم الذي أسندت له هذه السلطة بصلاحيات موجزة في عقد قانوني. وقد وضع هوبز مفهوم الدولة التتينية ، هذه الدولة القائمة على أساس تنازل مطلق وكلي من طرف محكومين تنازلوا فيه عن كامل حقوقهم لصالح الملك، بحيث يصبح المحكوم خاضع لسلطة الملك ولا يجوز له معارضته أو إبداء رأيه في أي شيء ومن هنا يصبح ملزم على طاعته بشكل مطلق وكلي، وقد أرجع هوبز انحلال الدول إلى افتقارها وتكوينها الناقص الغير مستند على السلطة التشريعية المطلقة، لذا يجب إعادة النظر والتركيب لدولة يحكمها القانون الوضعي في يد سلطة واحدة ومطلقة هي سيادة القانون أو كما يطلق عليها هو اسم العقد القانوني¹. وهكذا فإن هوبز ينظر إلى السلطة بأنها حكم تنازلي يتنازل فيه المواطنون عن حقوقهم الطبيعية لصالح حاكم واحد له كامل الصلاحيات في حكمهم وتبدير شؤونهم.

فوكو لم يبحث عن السلطة في النقاط التي تتركز فيها السلطة القانونية كما فعل هوبز في كتابه التتين حيث يقول فوكو: « لقد حاولت أن أبين لكم أن النموذج القانوني للسيادة لم يكن ملائماً في اعتقادي لتحليل ملموس لتعدد علاقات السلطة (...). فالسيادة هي النظرية التي تذهب من الذات إلى الذات، (...) هذا أولاً وثانياً يبدو لي أن نظرية السيادة تقدم في البداية تعدد السلطات ولكنها ليست سلطات بالمعنى السياسي للكلمة، (...) وثالثاً وأخيراً يبدو لي أن نظرية السيادة تحاول أن تبين كيف أن السلطة لا تقوم تحديداً على القانون² يتضح في القول الحرفي لفوكو

¹ - توماس هوبز: اللفيثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب، بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011، ص194.

² - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة، الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص55.

أنه رفض أن تكون السيادة بالمعنى القانوني كونها غير مناسبة، فهي تسيطر على الفرد وتعتبر نفسها بمثابة القاعدة المركزية للسلطة.

فقد إعتبر فوكو أن مسلمة الشرعية والتي إنتقدها وبشدة ماهي إلا تنظيم، هذا التنظيم الذي يعطي ويمنح إمتياز السيطرة والتسلط للطبقات الممارسة سلطتها المستمرة على أجساد الرعايا. إن السلطة المستمرة حسب فوكو ليست السلطة القائمة على أساس العنف والقوة والبطش والقهر والإخضاع، وإنما السلطة الدائمة هي تلك السلطة المستندة على أساس الرضا والتوافق والإنسجام، لأن السلطة الشرعية ليست على إستمرار ودوام كما أنها ليست فاعلة لأنها تفتقر إلى الإيجابية باعتبارها فاقدة للحيوية فالسيادة لا يمكن أن تتبني على القوة والجبر بل أن يتحول هذا الجبر إلى طاعة وحق ومن هنا تكون واجب.¹ يمثل هذا الرفض لتصور السلطة في نقطة مركزية أن فوكو بدأ في فهمه للسلطة بدءاً من العناصر المكونة للدولة على عكس هوبز الذي إنطلق من روح الدولة نفسها.

وقد نبهنا وحذرنا فوكو من إشكالية السيادة: « يجب أن نحاول دراسة السلطة، ليس إنطلاقاً من حدود بدائية للعلاقات، حقوقية، دولة، قانون، سيادة وهكذا، بل انطلاقاً من العلاقة ذاتها من حيث هي التي تحدد عناصر عملها، وعوض مسألة ذوات مثالية عما تنازلوا عنه من ذواتهم أو من قدراتهم يمارس عليهم الإخضاع، يجب البحث في الكيفية التي بها تستطيع علاقات الإخضاع صنع الذوات ».²

¹ - محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص55، 56.

² - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1994، ص52، 53.

إن هذا الاقتباس يبين لنا إلحاح فوكو المستمر على نبذه لفكرة العقد القانوني ويحاول البحث عن طريقة يخلص الإنسان فيها من السيطرة الممارسة في حقه ليعيد هذا الإنسان صنع ذاته المهشمة.

فهو يعتبر أن القانون إنما هو مجرد شكل من أشكال ممارسة العنف بشكل مقنع. وما يجب فعله هو أن نحرر السلطة الملكية ونضعها في قالب اللاقانون واللاشرعية، فالفوارق الإجتماعية وكذا تلك الإمتيازات والصلاحيات في ظلها القانوني إنما هي من شكلت مسلمة الشرعية من خلال التلاعب بالقانون، فالملكيات الغربية قد مارست سلطتها وفق هذه الشرعية القانونية ولكنها في الحقيقة تجاوزت ذلك القانون الدستوري بالخدع والتحايل والمآرب. ومن خلال هذا المنهاج التحليلي للسلطة والذي استعرض فيه فوكو نظرية السلطة جملة وتفصيلا كان هدفه إعادة بناء، سلطة دون ملك، وجنس دون قانون، كما تتضح مرجعيته أنها خارج الفكر التعاقدي وخارج صورة القانون والسلطة القمعية التي إستهوت الفكر السياسي برمته.¹ بمعنى آخر أنه لا سبيل إلى إحتكار السلطة من طرف القانون، بل يتجاوز مفهوم السلطة عند فوكو الحقل السياسي القانوني.

وقد استوحى فوكو نقده للفلسفة السياسية الكلاسيكية (الليفيثان) بالمعنى السلطوي الذي أعطاه هوبز في تعريفه للسلطة يقول "آلان" في تعريفه للسلطة. الليفيثان: «إنه ليس جميلا ولا حكيما (...)، إنه النظام، إنه الانضباط، إنه تقليد الكل للكل (...)، وباختصار هو كل ما يقمع الفرد ويقهره إجتماعيا، وسياسيا هو الدولة والجماهير معا». ² يوحى هذا المفهوم للسلطة التتينية أنها ذات نزعة قهرية

¹ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص58.

² - أنظر: محمد الشيخ: المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1،

1991، ص28.

قمعية يمنحها الأفراد للجماعة وتتقلب في النهاية ضدهم، فهي بهذا المعنى عبارة عن تملك الإنسان على أخيه الإنسان مثلما تملك السلعة.

يقول فوكو في كتابه إرادة المعرفة: « كان بإمكان أن أتناول، على مستوى آخر، مثل عقوبة الإعدام، فألى جانب الحرب، كانت هذه العقوبة زمننا طويلا الشكل الآخر لقانون السيف، كانت تشكل رد الملك على كل من يتعدى إرادته وقانونه وشخصه (...) ، هيمنت هذه السلطة على الحياة منذ القرن السابع عشر ¹. فكلية سلطة لا تعني كما نعرفه تقليديا أي إخضاع الأفراد لعقوبات باسم القانون، فيكفي أن هذه السلطة سيطرت على حياة الأفراد المواطنين، وهذا ما يجب تغييره.

2- نقد إنحصار السلطة في يد الطبقة الملكية:

كما أن فوكو قد تعرض في نقده للسلطة الليبرالية التي تحصر السلطة في يد ملك طبقة محددة ، أي الطبقة المالكة القائمة على أساس الغلبة والذي تناوله وحلله فوكو ليقرب به تلك النظرية التي ركزت على الجسد السياسي منذ كتاب الأمير "ميكيافلي"، حيث إن هذا الأخير قد حاول أن يفهم سلطة الأمير على أساس الطغيان القائم بدلالة القوة من خلال المكر والخداع، فهو قد جمع بين صفتين جوهريتين وجب أن يتصف بهما الأمير والمتمثلين في القوة والقتل كالأسد والمكر والخداع كالثعلب، أما فوكو فقد قلب هذه النظرية رأسا على عقب أي النظرية التي اقترحها ميكيافلي، والتي كانت نظرية للملكية، لأنها ركزت على جسد الملك، ومتطلبات العرش، فالتحليل الفوكوي على عكس ما قدمه ميكيافلي أي أن فوكو ركز على جسد المحكومين. وهو بهذا يعالج قصور التحليل القديم للسلطة المبني على

¹ - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة تاريخ الجنسانية، ج1، ترجمة مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د، ط، ص140، 141.

مصطلحات السيادة والقانون والملكية ويعطي البديل بمفردات الحرب والصراع والمعركة والإستراتيجية والتكتيك¹ يعارض فوكو إمكانية فهم السلطة على نحو تملكي، وبدون شك يجب تجاوز شخصية الأمير التي ينادي بها ميكيايلي.

إذن فالسلطة حسب فوكو لا تعود إلى الوسائل والتقنيات المتمثلة في التعذيب والقتل والعقاب، فالسلطة ليست نمطا للإخضاع فلا ينبغي البحث عنها في مركز واحد ووحيد، إذن فالسلطة تمارس أكثر مما هي تملك فلا يمكن حصر السلطة في الطبقات السائدة وإنما السلطة إستراتيجية أكثر مما هي ملكية. ففوكو يرفض أن ينفصل مفهوم السلطة عن مفهوم الإستراتيجية، لأنها عبارة عن تفاعل ناتج عن مجموع من العلائق والحركات الناجمة على التسلسل الذي تتبني عليه كل واحدة منها على الأخرى، وبهذا المعنى للسلطة إنها لا تعود إلى تدابير وحيل ووسائل وتقنيات التعذيب. فهي ليست حق تحتفظ به الطبقة السائدة وتحكره² وعليه ففوكو يقلب المعادلة من التملك إلى الإستراتيجية ويريد فحص السلطة على السيادة المنبثقة من الملك، ويردها إلى مستوى ممارسات الحيلة بمختلف أنواعها و شكلياتها.

3-نقد مسلمة الجوهري والعرض:

كما أن فوكو يرفض أن يكون للسلطة جوهر، أي أنه لا وجود لصفة خفية وغامضة في السلطة فالسلطة إجرائية، بمعنى أنها عبارة عن مجموعة قوى تجمعهم علاقات هذه العلاقات تمارس عبر أنشطة اجتماعية ولا يمكن أن تكون خارجة عن المجتمع. أي ليست علاقات إقتصادية بل هي علاقات محايدة للمجال الذي تعمل

¹ - محمد صفار: تفكيك مفهوم القوة عند ميشيل فوكو إعادة فتح الملف الإيراني، مكتبة الإسكندرية، مصر، دط، 2017، ص 67، 68.

² - محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، ص 51.

فيه، وبهذا تكون السلطة أيضا ليست عرضا فعلاقات السلطة هذه لا تقوم بالسطو والتأثير على المهزومين، بل على العكس من ذلك تماما تنغمس في كل جانب من جوانب هؤلاء المغلوبين.¹ نفهم من هذا أن السلطة على حد تعبير فوكو تخترق تلك القوى المغلوبة.

إن السلطة في جوهرها علائقية، أي تقوم بالإلزام بين الحاكمين والمحكوم عليهم لأنها تصعد من تحت إلى فوق، فهي تنزل من فوق إلى أدنى فبنفس صعودها يكون نزولها. فهذا التحليل الذي قد خص به ملوك فرنسا على وجه التحديد، هؤلاء الملوك كانوا يقدمون مطالب وأوامر جاءتهم من أسياذ المجتمع الفرنسي وأولياء وباباوات في حق من يرونه يريد الخروج عن سيادتهم وطاعتهم، ومن هنا هذه المطالب كانت بمثابة استجابة لهؤلاء ليمارسوا قوتهم وصلاحياتهم باسم المراسيم الملكية التي منحتهم هته الصلاحية.²

¹ - محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط ، ص53

² - نجيب مجدوب: مفهوم السلطة عند ميشيل

فوكو، 201413:38، WWW.ahwar.org/s.asp?aid:426676&r=0، ص2.

المبحث الثاني: نقد الماركسية

يعارض فوكو في نظريته للسلطة التصور الماركسي للسلطة، لكن قبل كل هذا لابد أولاً من تقديم التصور الماركسي حول السلطة، ثم التطرق لأهم الانتقادات التي قدمها ميشيل فوكو لهذا التصور الماركسي الكلاسيكي.

1- التصور الماركسي للسلطة:

إن الرؤية الماركسية للسلطة نجدها ترتبط بالتطبيقات ذات الأصول الماركسية في علاقاتها بالبنى الاقتصادية للمجتمع، ولابد هنا من أن ننطلق من مقولة "لينين" الذي يوضح فيها أن الدولة بالنسبة للماركسية ما هي الإنتاج للمجتمع، وأن الدولة لا يمكن أن تنشأ وأن تبقى إذا كان التوفيق بين الطبقات، فالماركسية تعتبر أن الدولة هيئة للسيادة الطبقية اقتصادياً. على عكس ما يراه البرجوازيون أن الدولة توجد حيث توجد التناقضات الطبقية، كما إدعى "ماركس" أن الدولة هي هيئة لظلم طبقة من قبل طبقة أخرى، فهو يرفض أن يكون النظام هو التوفيق بين الطبقات. يأخذ "لينين" على "كاوتسكي" تشويبه للماركسية حين طمس الحقيقة القائلة: إن تحرير الطبقة المظلومة لا يمكن أن يتم إلا عبر الثورة العنيفة والقضاء على جهاز سلطة الدولة الذي أنشأته الطبقة السائدة، في حين يقول "إنجلز": «تتقوى السلطة العامة بمقدار ما تتفاقم التناقضات الطبقية داخل الدولة وبقدر ما تزداد الدول المتلاصقة مساحة وسكاناً». فإنجلز يريد القول أنه بدون تنازعات وتناقضات لا يمكن أن تنشأ دولة أو أن تكون هنالك سلطة¹ و بالتالي هنا أن الماركسية تقوم على نفي أحد النقيضين

¹ - منير شفيق: الدولة والثورة رد على ماركس، إنجلز، لينين ومقاربات مع الرؤية الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2001، ص18-31.

وذلك من أجل بناء دولة مزدهرة، وهذا لا يفهم على أساس التوازن وإنما على أساس نفي النفي.

« ويقوم التاريخ بالنسبة لماركس على العكس من ذلك، بدور سلبي. فهو لم يعد المحفز الإيجابي الذي يرى الناس عبره تحررهم المؤقت، بل أصبح شرط قمعهم، (...) وبذلك ستمكن البروليتاريا لأهمية مكانتها في الإنتاج¹. » فهنا نجد كارل ماركس يعتبر التاريخ بأنه لم يعد تلك الأداة المحفزة للناس الذي كان ينظر إليه على أنه يمثل تحررهم وبالتالي فالبروليتاريا هي من ستحرر البشر وكذلك معرفة حقيقتهم.

ومن هنا ينقل "لينين" عن إنجلز قوله: « تأخذ البروليتاريا سلطة الدولة وتحول وسائل الإنتاج قبل كل شيء إلى ملك للدولة ولكنها تقضي بذلك على نفسها بوصفها بروليتاريا، تقضي بذلك على كل الفوارق الطبقية وجميع المتضادة الطبقية وعلى الدولة في الوقت نفسه بوصفها دولة². » نفهم من هذا أن البروليتاريا تريد الإستحواذ على سلطة الدولة وذلك من أجل أن تستولي على تلك الوسائل الإنتاجية والتي تحولها إلى ملك للدولة.

« تستطيع الماركسية أن تتظر للقمع الذي يتسم بمنتهى الوحشية (...) باعتبار ذلك هو الطريق الذي سارت عليه البشرية كما أوضح ذلك إنجلز في أصل العائلة حين اعتبر أنه لابد من إستخدام أساليب وحشية، (...) لتخليص تلك الشعوب من عصور الظلام (...) هو شرط إنتقالها إلى العصر الشيوعي الذي تنتقي فيه كل

¹ - مارتن كيكوزيز: ماركس كما يتخيله فوكو حول السلطة والمجتمع، الأزمنة الحديثة، المغرب، 1 مارس 2015، ص 65.

² - منير شفيق: الثورة والدولة، ص 65.

بربرية»¹ ومفاد هذا أن الماركسي تعتبر القمع وسيلة من أجل نهوض تلك الشعوب التي قهرت من قبل الطبقات البرجوازية.

وبهذا حل عند ماركس المجتمع الشيوعي محل المطلق الهيكلي وأصبح الصراع الجدلي في التاريخ صراعا للاتجاهات والمؤسسات أكثر منه مقولات وأفكار وحلت البروليتاريا، وبذلك نجد ماركس يقول أن قوانين الاغتراب التي تسود الإقتصاد السياسي تنطبق على جميع المجالات لأن كل هذه الأشكال هي من إنتاج إنساني وبذلك فهو يميز بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج فالأولى هي المهارات والأدوات والثانية هي الطرق التي تتلاءم فيها العوامل المختلفة للإنتاج.² وبالتالي ماركس يقوم تصويره الكلي للبروليتاريا على أنها هي من تبدل الإنتاج من خلال ممارسة السلطة السياسية الإستبدادية وبذلك رد السلطة عند ماركس إلى الإقتصاد.

كما إدعى ماركس أن الدولة السياسية فيها نوعا من العقم لأن في نظره أن الدولة السياسية يتسيدها المجتمع المدني والإنسان الإقتصادي، وهذا بدوره يقود ماركس إلى ضرورة فحص المجتمع المدني، وأن يجد في الحياة الإقتصادية القوة الدافعة نحو التغيير الذي تعجز الحياة السياسية وحدها عن تقديمه. لقد سعى ماركس إلى أن يبين فيها الصدع الجدلي داخل الحياة الإقتصادية نفسها، وأن يقوم بإخضاع البناء الكلي للإقتصاد السياسي المعاصر، وأن الإقتصاد السياسي ليس الأرباح ورأس المال فقط وإنما هو النشاطات الإنسانية، بهذا نلمس جانبا في نظرية ماركس وهو الإغتراب في الحياة الإقتصادية، وتكمن أهميته في أنه يمكن استخدامه من أجل إظهار وتأسيس رؤية منطقية للعامل في الحياة الإقتصادية وهما جانبيين الأول يتمثل

¹ - منير شفيق: الثورة والدولة، ص 211، 212.

² - أوجين كامنكا: الأسس الأخلاقية للماركسية، ترجمة مجاهد عبد المنعم، ارلهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 2011 ص 164-181.

في علاقة العامل بنتاج عمله والثاني هو إغتراب العامل عن نشاطه ومن ثمة عن حياته الشخصية، فهو يرفض أن يكون المال هو القوى الإقتصادية السياسية، فكل هذا جعل ماركس يسعى إلى رد جميع التناقضات إلى حقيقة واحدة وهي الإغتراب الذاتي الإنساني المعبر عنه في الملكية الخاصة.¹ وبهذا أن التصور الماركسي للسلطة ينطلق من خلال جهاز الدولة الذي يتحكم بكل شيء من فوق والذي تتحكم فيه الطبقة البرجوازية المسيطرة لذلك دعا ماركس لضرورة إسقاط هذه الطبقة البرجوازية لتحل محلها طبقة البروليتاريا.

من خلال تقديم التصور الماركسي للسلطة الذي بناه ماركس الذي حل فيه إستراتيجية عمل السلطة في التصور الماركسي، يقتضي ضرورة استحضار مفهوم الوظيفة الإقتصادية عندما ترتبط السلطة بعلاقات الإنتاج التي تسعى إلى ضمان هيمنة الطبقة المالكة بوسائل الإنتاج على الطبقة العاملة، بمعنى أن نظرية السلطة في التحليل الماركسي توجد في الإقتصاد كمسوغ وجودها التاريخي، وبالتالي نجد فوكو قد قدم إنتقادات لهذا التصور الماركسي من خلال دحض فوكو في كتاباته الوجهات القديمة للتصور الماركسي لمسألة السلطة، وحث على ضرورة التخلي عن تلك المسلمات التي اعتبرت السلطة بمثابة ملكية متمركزة في أجهزة الدولة تابعة لنمط الإنتاج فقط.² وهذا بدوره يقودنا إلى أن فوكو رفض هذه المسلمات وحاول بدوره إعطاء معنى للسلطة.

¹ - أوجين كامنكا: الأسس الأخلاقية الماركسية، 105-121

² - محمد الجلالي: المعرفة والسلطة في تصور ميشيل فوكو، 112014:02.

،WWW.ahwar.org/s.asp?aid=204321&r=0

2- أهم الإنتقادات الموجهة للتيار الماركسي:

يقول ميشيل فوكو: « إن هذه المأساة للخطاب العلمي نجد قوتها في شبه العلاقات النظرية التجارية مثلما هو الحال في التحليل النفسي أو في الجهاز السياسي بكل تداعياته مثلما هو الأمر في الماركسية، وعلى أية حال يجب أن تخوض الجينيالوجيا معركتها ضد آثار السلطة الخاصة بالخطابات (...) ومنذ أكثر من قرن تعلمون كم كان عدد الذين كانوا يتساءلون إن كانت الماركسية علما أم لا؟¹ يرى ميشيل فوكو أنه لا يمكن تقديم تحليل علمي سليم لأن هذه الخطابات العلمية ما هي إلا عبارة عن مبادلات تجارية ولا بد من الجينيالوجيا أن تكون على كافة الاستعداد للتصدي لهذه الخطابات العلمية.

« إننا نعلم أن هنالك تاريخيا النظرية الليبرالية البرجوازية الموروثة في عصر التنوير والتي تتحدث عن السلطة أو الدولة من خلال مفاهيم ومصطلحات السيادة والقانون والدستور في مقابل هذه النظرية هنالك النظرية الماركسية المعارضة والتي تتصور السلطة من جهة العنف وأجهزة الدولة التي تديرها الطبقة البرجوازية². ومفاد هذا أن فوكو يذهب على عكس هذين التفسيرين للسلطة، فهو أعطى تعريفا آخر للسلطة بأنها ليست مجرد قمع كما أقر أصحاب النظرية الماركسية.

ومن هنا يدعونا فوكو إلى التخلي عن تلك المسلمات التقليدية للتيار الماركسي ومن بينها ما يلي:

1- نقد مسلمة الملكية: ترى أن السلطة هي في ملك طبقة، وأن ملكيتها أساس الغلبة وبذلك يقول فوكو: « بأن السلطة لا تمارس نفسها بهذا النحو، فهي إستراتيجية

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص37.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، دب، دط، 2000، ص231.

أكثر منها ملكية، ولا ترجع آثارها ومفاعيلها إلى تملك ما، بل إلى تدابير ووسائل وتقنيات وأعمال (...) ، وهي ليست حقا تحتفظ به لنفسها الطبقة السائدة وتحتكره، بل هي مفعول مجموع مواقعها الإستراتيجية¹. وبالتالي هنا الماركسية تعتبر السلطة بأنها شيء يمتلك ويمكن استرجاعه في حين يرى فوكو أن السلطة عبارة عن إستراتيجية تفعل فعلها عبر موازين القوى.

« إن السلطة هي ملك طبقة معينة كما راح في التحليل الماركسي. لكن فوكو يقول أن السلطة هي أقرب إلى الإستراتيجية. إنها ليست ملكا لطبقة معينة، فهي تكتيكات ومناورات تمارس وليس شيئا يمتلك². إن التصور الماركسي للسلطة يربطها بمسألة التملك باعتبارها ملكا لطبقة ما بينما يرفض فوكو هذا الطرح الماركسي ويعتبر أن السلطة شيء يمارس عبر تقنيات و ميكانيزمات إستراتيجية.

2-نقد مسلمة انحصار السلطة في الدولة: مفادها أن السلطة هي سلطة الدولة وأنها تتجسد في جهاز الدولة. وهي أجهزة خاصة في يد الدولة، وبذلك يؤكد فوكو أن الدولة ذاتها مفعول وأثر للمجموع، وبالتالي فإن السلطة تمثل وجهتها في ما سماه فوكو بميكروفيزياء السلطة وليس في الأجهزة الخاصة التي نجدها في الدولة، وفي كتاب "الحراسة والعقاب" أن المجتمعات الحديثة يمكن النظر إليها بأنها مجتمعات انضباطية، وبالتالي سوف يؤكد لنا أن لعبارة السلطة موقعان مختلفان: هي ذات موقع، لأنها ليس على الإطلاق شمولية وأنها غير ذات موقع، وليست قابلة لأن

¹ - أنظر: جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي،

بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص31.

² - جمال نعيم: جيل دلوز وتجديد الفلسفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010، ص162.

تحصر في مكان بعينه، لأنها منتشرة.¹ يبدو هنا أن فوكو يرى أن السلطة موزعة وحاضرة في كل الأجساد الاجتماعية وبذلك ينفي أن تكون السلطة منحصرة في الدولة فقط.

«إن انحصار السلطة في الدولة أي أنها تتموضع أو تتركز في جهاز معين كجهاز الدولة على سبيل المثال. لكن فوكو يرى أن السلطة مبعثرة في كل المجتمع وهي تمر بالمهيمن عليهم كما تمر بالمهيمنين».² بمعنى أن السلطة ليست مؤسسة ولا جهاز يمكن التحكم فيه بل تنتج ذاتها في كل لحظة.

3-نقد مسلمة التبعية: مفادها أن السلطة المجسمة في جهاز الدولة، تابعة لنمط إنتاج ما يعد بالنسبة لها بنية تحتية. وهنا ربط النظم العقابية بأنظمة الإنتاج، وأن تزايد الإنتاج يسعى إلى رفع المردودية حسب التصور الماركسي، وإلى استثمار ما هو نافع. لكن يرى فوكو أنه من الصعب النظر إلى الاقتصاد على أنه هو الذي يلعب الدور المحدد، وبذلك فإن السلطة لا توجد في البنية الفوقية بل توجد حيثما تلعب مباشرة دورا منتجا. ومن خلال هذا التحليل الوظيفي للسلطة يطرح فوكو نوعا من المحايثة، وبالتالي فإن السلطة توجد حيثما كان هنالك إنتاج مباشرة دون المثول حول موقع بنية عليا.³

وهذا بدوره يقودنا إلى أن فوكو يرفض نمط السلطة المتمثل في البنية التحتية.

¹ - جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص131، 132.

² - جمال نعيم: جيل دلوز وتجديد الفلسفة، ص162.

³ - جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص33.

« أي تبعيتها للبنية التحتية في نمط إنتاج معين، لكن فوكو يؤكد أن السلطة محايدة للحقل الاجتماعي برمته. والبنية الاقتصادية تفترض على العكس أولويات السلطة».¹ إن نمط السلطة المتمثل في البنية التحتية كما أقر الماركسيون هذا الموقف لا يعطي للسلطة أي أهمية لأن فوكو اعتبر السلطة خارج الإنتاج الاقتصادي.

إن التصور الماركسي للسلطة بأنها مجرد اقتصاد فقط، فمن هذا المنطلق اعتبر فوكو أن السلطة لا تمتلك ولا يتم تبادلها كسلع، وإنما تمارس وهي عبارة عن إرادة قوة وهي توجد حيث يوجد صراع، يعني حيثما كان هنالك صراع كانت هنالك سلطة وبالتالي ليست السلطة كما يعتقد الماركسيون بأنها مبنية على أساس السلعة يمكن استرجاعها، بل على العكس إن السلطة ليست نتاج لتلك العلاقات الاقتصادية بل هي علاقة قوة وليست على أساس القمع، ومن هنا تكون السلطة مبنية على علاقات إنتاج لا أكثر.² وبالتالي فإن فوكو يتجاوز التعريفات التقليدية للسلطة التي حاولت أن تعطي تصورا للسلطة من خلال الأجهزة والمؤسسات، وهذا ما رأيناه في التصور الماركسي.

4-نقد مسلمة أنماط التأثير: « إن السلطة تتصرف بعنف وتمارس نفسها كإيديولوجية، تارة تقمع، وتموه أو تخدع، تارة تنقص زي الشرطة، وتارة ثانية تتخذ شكل دعاية. (...) فالسلطة لا تمارس نفسها كإيديولوجية، (...) لا تلجأ بالضرورة إلى العنف، لا تقمع في الوقت الذي تتسلط فيه على الأجساد. (...) فالسلطة تنتج

¹ - جمال نعيم: جيل دلوز تجديد الفلسفة، ص168.

² - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص42.

الواقع قبل أن تقمع كما تنتج الحقيقة¹. إن فوكو يعتبر السلطة بأنها منتجة وموزعة في كل الأجساد وبذلك لا يمكن حصرها في القمع والهيمنة والتسلط لكن دون إنكار بأن السلطة تحتاج إلى القمع من أجل الوصول إلى واقع الحقيقة.

« سيقولون لي إنه إذا كثر اليوم عدد الذين يؤكدون وجود هذا القمع، فذلك لأنه واضح تاريخياً، وإن كانوا يتكلمون عن القمع بهذه الوفرة، لأن القمع راسخ في العمق، ولأن له جذوره وأنه يؤثر على الجنس بشدة (...) خصوصاً السلطة التي تعمل في مجتمعا، هي في أن تكون قمعية (...) والتحرر من هذه السلطة القمعية بطيئة الظهور (...) وهذا ما يسميه فوكو بالفرضية القمعية². فوكو هنا لا يرفض القمع وإنما عدم الحديث عن السلطة بأنها مجرد قمع لأنه في بعض الأحيان يؤدي هذا القمع إلى التخلص من السيطرة.

يقول فوكو: « عندما أراكم تجهدون أنفسكم من أجل القول أن الماركسية علم، إنني لا أراكم تحاولون البرهنة على أن للماركسية بنية عقلية وأن قضاياها نابعة أو ناتجة من عمليات قابلة للتحقيق، إنني أراكم أولاً وقبل كل شيء تقولون شيئاً آخر إنكم تحاولون ربط الخطاب الماركسي بآثار السلطة³. يعني هنا أن فوكو يريد القول أن الماركسية تبني خطاباتها من خلال الصيغة القانونية النظرية للسيادة وإرجاع السلطة إلى الدولة.

« إن تحليل فوكو للسلطة لا يمكن فهمه على أنه مناهض للطرح الماركسي ولكنه و في نفس الوقت لا يمكن اعتباره استمرار له، وذلك لأن فوكو لا يهمل المعطيات المادية ولا مختلف الصراعات، ولكنه يهتم أكثر بتلك التقنيات الخاصة بالجسد والتي

¹ - جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص34، ص35.

² - ميشيل فوكو : إرادة المعرفة تاريخ الجنسانية، ص33.

³ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص38.

يسميتها بالإنضباطات، والتي لا نجد لها في التحليل الماركسي بل نجد لها عند أحد علماء الاجتماع "ماكس فاير" والذي لا ينكر تأثيره في فوكو، وخاصة في مسألة الانضباطات وأصلها الديني «¹. فوكو هنا يعطي أولوية السلطة للجسد يعني أن تكون موجودة في المجتمعات البشرية وبهذا فهو يختلف عن التصور الماركسي الذي يرجع السلطة العامل المادي.

المبحث الثالث: مفهوم السلطة عند فوكو

لقد تأسس مفهوم*السلطة عند فوكو من خلال نقده للتصورين الماركسي والنظرية الليبرالية حيث يقول: « لا أعني السلطة أي مجموعة المؤسسات والأجهزة التي تضمن خضوع المواطنين في إطار دولة ما. ذلك لا أعني بكلمة سلطة نمطا من الإخضاع. الذي هو على العكس من العنف إنما يتخذ شكل قاعدة «³. يبدو لي أن السلطة عند فوكو لا ترتبط بالدولة وأجهزتها أو بقوانين ممنوحة لها لتهيمن بها على الأفراد ولا بغلبة قوة على أخرى بل هي على العكس من ذلك.

« كما أنني لا أقصد نوعا من الإخضاع الذي قد يتخذ، في مقابل العنف، صورة قانون، ولست أقصد أخيرا نظاما من الهيمنة يمارسه عنصر على آخر بحيث يسري مفعوله بالتدريج في الجسم الاجتماعي بكامله، إن التحليل الذي يعتمد مفهوم السلطة لا ينبغي أن ينطلق من التسليم بسيادة الدولة أو صورة القانون أو الوحدة الشاملة لهيمنة معينة، فهذه ليست بالحرية إلا الأشكال تنتهي إليها السلطة «⁴. وبهذا المفهوم

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص241.

³ - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص101.

⁴ - ميشيل فوكو: جينيالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط2، 2008، ص105.

الفوكوي للسلطة أنها مناقضة لما يعرف باسم الهيمنة والسيطرة في شكلها القانوني وفقا لقوانين مفروضة من خلال سطو قوة على أخرى.

فالسطة إستراتيجية معقدة في مجتمع معين بحيث يعتقد فوكو أنه يجب تحليل آليات السلطة، وبذلك نتحرر من نظام القانون الذي سيطر على الفكر السياسي منذ القرون الوسطى إلى غاية القرن الثامن عشر، فهو يرى أنه يجب الاهتمام بميادين أخرى للسلطة بدلا من الاهتمام بمفهومها القانوني السيادي عبر أجهزة الدولة. ومن هنا وجب علينا الكشف في كل علاقات القوى والاستراتيجيات التي تمارس على الجسد وضبطه وفق آليات وتقنيات الجسد السياسية. ففوكو يعارض وبشدة أن تكون السلطة في يد ذات واحدة. وفاعلة ينفرد بها شخص معين، ومن هنا يقترح فوكو أنموذجا استراتيجيا للسلطة فلا ينبغي أن ننظر إلى السلطة كملكية مستقرة في يدي فردية كانت أو جماعية، وإنما يجب التفكير في السلطة على أنها استراتيجيات صراع بين القوى المتعددة، فالسلطة هي علاقات قوى مشكلة بذلك نظاما بين الانفصال والانقطاع موجودة داخل العلاقات المختلفة في المجتمع.¹ فهي إذن موجودة في كل مكان أي أن السلطة لا مركز لها ولا أطراف تحكمها بمعنى أنها ليست مفعولا لذات فردية أو جماعية.

« ويحدد فوكو كلمة الإستراتيجية بثلاث معان: المعنى الأول يخص الوسائل المستخدمة لبلوغ غاية معينة. والمعنى الثاني، يتعلق بالطريقة التي يتصرف بها أحد أطراف العلاقة التي من خلالها التأثير على الآخرين، والمعنى الثالث، وهو الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على

¹ - علي عبد المحمد اوي: الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى، دار الروافد الثقافية، الجزائر، ط1، 2012، ص279، 280.

الاستسلام، والمقصود حينئذ هو الوسائل المعدة لإحراز النصر¹. من هنا نفهم أن وظيفة السلطة قائمة على الإستراتيجية وهذه الأخيرة تعتمد أساسا على مقاومة التي تفتح الباب أمام الحريات وتفك قيود الأفراد.

إذ يقول فوكو: « يبدو لي أن السلطة تعني بادئ ذي بدء علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى مكونة لتنظيم تلك العلاقات، إنها الحركة التي تحول تلك القوى وتزيد من حدتها، وتقلب موازينها بفعل الصراعات والمواجهات التي لا تنقطع، وهي السند الذي تجده تلك القوى عند بعضها البعض بحيث تشكل تسلسلا ومنظومة»². واعتبارا لهذا فالسلطة هي علاقات متعددة داخل حيزها بغية تكوين وتنظيم وتحويل لتلك العلاقات وذلك عن طريق الصراع الذي هو استثمار دائم.

« إن السلطة تأتي من أسفل، وهذا يعني ليس هنالك في أصل علاقات السلطة وكطابع عام، تعارض ثنائي شامل بين المسيطرين ومن يقعون تحت السيطرة، بحيث تعكس صدى هذا التعارض من أعلى إلى أسفل (...) ينبغي أن يفترض بالحرى أن علاقات القوى المتعددة التي تتكون وتعمل في أجهزة الإنتاج والأسر والجماعات الضيقة والمؤسسات تكون حاصلا للانقسامات التي تسري في الجسم الاجتماعي بمجموعه»³.

وهنا يظهر لنا تفنيد فوكو للتعارض بين الحاكم والمحكوم عليه فلا وجود لمهيمن ومهيمن عليه وإنما السلطة منتشرة في كل مكان مثلها مثل الذرة التي هي موجودة في كل مكان.

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص234.

² - ميشيل فوكو: جينالوجيا المعرفة، ص105.

³ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص54.

والمهم هنا ألا نبحت في السلطة من المركز أي من فوق، وإنما يجب النظر إليها في امتداداتها في الأسفل من القاعدة، بمعنى أن في بحثنا للسلطة ننطلق دائما من الاعتبارات والآليات القليلة والصغيرة والضئيلة جدا باعتبارها أن لهذه الفئات تاريخها الخاص بها فنحن نبحت في جزئياتها وفي محدودياتها وتقنياتها، وبعد ذلك نتطرق مباشرة في التمعن والبحث في هذه الآليات السلطوية والتي لها تقنياتها الخاصة بها، وكذا في كيفية توسعها وانتشارها بواسطة آليات أكثر شمولية وقوة.¹ ومن هنا فتحليلنا للسلطة يكون تحليل تنازلي أي من المستويات السفلى والدنيا للمجتمع.

« إن العلاقات السلطوية هي بأن معا قصديه فاصلة وغير ذاتية (...) لا سلطة تمارس بدون مجموعة أهداف ومقاصد، لكن هذا لا يعني أنها تتجم عن اختيار أو قرار فرد معين، لا نبحتن عن هيئة الأركان التي توجه عقلانياتها، ولا عن الطبقة التي تحكم، ولا عن الجماعات التي تشرف على أجهزة الدولة، ولا عن تلك التي تتخذ أهم القرارات الاقتصادية وتدير مجمل الشبكة السلطوية التي تعمل في مجتمع ما.² هنا يتضح أن السلطة هي فعل قصدي واعي ولكنها في الوقت نفسه لا تخص الإنسان بفرديته باعتبار أنها لا تتجم عن فئة محددة تسير جماعة ما.

إذا فالسلطة لا هي بمؤسسة تفرض هيمنتها من خلال القوانين ولا هي بنية، كما أنها ليست قوة معينة محصورة في فرد معين يملئ ما يجب فعله ويصدر قرارات يجب الإنصياح لها، إنما السلطة هي تلك العلاقات من القوى المختلفة والمتمايزة فيما بينها هذه القوى هي ما تشكل بؤرة السلطة وقد تكون هذه القوى في اختلاف كما أنها قد تكون في توافق وانسجام داخل المجتمع الواحد أو مجتمع معين من

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص55.

² - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص103، 104.

المجتمعات الإنسانية، وهذا التعدد لهذه القوى هو جزئي وليس كلي بطبيعته أبداً، فإما أن يكون هذا التعدد في شكل حرب أو في شكل سياسة وهنا يظهر لنا أن لدينا إستراتيجيتين مختلفتين وهما في الوقت نفسه قابلتين بأن تتقلب الواحدة منهما في الأخرى أي قابلتين بأن تندمج علاقات القوى هته فيما بينها رغم اختلافهما وتغيرهما المنقلب والمتوتر.¹

إننا إذن بدعوة فوكوية تقوم أساساً على الانتقال من الحالة القانونية التي كانت تحكمها سيادة الدولة إلى رؤية مغايرة تماماً وهي الحالة الجديدة الإستراتيجية²، أي أن فوكو في صدد تأسيس خطاب جديد حصره في شبكة علاقات تمارس اجتماعياً من هنا قال فوكو بميكروفيزياء السلطة معناه أن السلطة مجهرية تخترق العلاقات الإستراتيجية ضمن صراع الحياة اليومية المعاشة. هذه الميكروفيزياء تمنح السلطة طابع التعدد والاختلاف والكثرة بمعنى وجود عدد لا نهائي من نقاط المواجهة، ومن هنا تعمل كل هذه القوى منها واحدة تلوى الأخرى فالسلطة هنا بمعناها الميكروفيزيائي لا تتمركز حول منطق الكل المهيمن والمسيطر بمعنى أنها لا تخضع للمراقبة والتحكم في الإطار المؤسسي لأجهزة الدولة، فهناك حرب دائمة من أجل امتلاك السلطة فالسلطة إذن دائماً تسعى إلى استمرار دائم، ولا يمكن لعلاقات القوة هته بأن تستقر ولو لبرهة من الوقت سواء عن طريق ما يسميه فوكو بالصراع، ومن هنا ففوكو لم يبحث عن السلطة في بؤرة واحدة بل بحث عنها في مختلف العلاقات الاجتماعية مثل: علاقة الطبيب بالمريض وعلاقة المعلم بالتلميذ. ومن خلال هذا ففوكو قد أسس خطابه الجديد للسلطة تحديداً على أساس خطاب العلوم الإنسانية

¹ - ميشيل فوكو: تاريخ الجنسية إرادة العرفان، ج1، ترجمة محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2004، ص76-78.

² - عبد السلام دخان: ميشيل فوكو وإرادة

المعرفة، 2014/12/06، 265511:31، www.alquds.co.uk/?p=265511:31

وهدفه هو إخراج الإنسان من دائرة الإخضاع التي كانت تستثمر الأفراد سياسيا واجتماعيا ونفسيا باعتبار أن هؤلاء الأفراد قوة للإنتاج الذي يخدم وينمي الطبقات البرجوازية.¹ يعني هذا الانتشار للسلطة أنها غير خاضعة إلى منطق امتلاك وتفوق، أي أن فوكو ينكر ذلك المعيار القمعي للسلطة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول أن السلطة عند فوكو لها خصائص عدة نذكر منها: -

- السلطة ممارسة وليست شيئا يمتلك أو ينزع
- لا توجد ثنائيات في منطق السلطة عند فوكو، أي لا وجود لمسيطر ومسيطر عليه.
- إنه حيثما توجد سلطة توجد مقاومة بحيث أن هذه المقاومة تفتح المجال الواسع للأفراد.
- المهمشين والمعزولين داخل السجن المعنوي.
- إنها علاقات محايدة مع غيرها كالعلاقات الاقتصادية والجنسية وكذا المعرفية والإستشفائية.
- السلطة إستراتيجية معقدة لمجتمع معين.²

ويظهر لنا المفهوم الجديد الذي قدمه فوكو للسلطة الحيوية هذا المفهوم مغاير تماما لما يعرف للسلطة بمعناها التقليدي المنحصر في الدولة بقوتها وقمعها لتحقيق

¹ - عبد السلام دخان: ميشيل فوكو و إرادة المعرفة.

² - عمر مهيبيل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص285-260.

مطالبها وسيادتها، فمع القرن التاسع عشر كما يقول هو تركت الدولة هذه الممارسة الكلاسيكية لمفهوم السلطة ليظهر لنا المنظور الجديد لها في حلتها الحيوية. هذه السلطة التي لم يعد يحدها القانون والموت، بل هاجسها ورهانها الحياة والأحياء. هذا التحليل المنهجي لدى فوكو قد حرر به السلطة من كل نظام طاغي قمعي سيطر على الفكر الإنساني لأمد طويل اتسع وشمل المجتمعات الإنسانية منذ العهد الوسيط. ففوكو أراد أن يتخلص من فكرتي الشرعية والعنف ويستبدلهما بفكرتي الإستراتيجية والصراع اللذان من خلالهما نصل إلى التحرر المعنوي الذي يطمح إليه فوكو.¹ فحلم فوكو واهتمامه بالأفراد المنبوذين أراد من خلاله تغيير مسار السلطة المنحصر والمنغلق في المجال السياسي. لهذا يجب إعادة النظر إلى هؤلاء المهمشين من طرف السلطة.

¹ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص56.

الفصل الثاني

السلطة من منظور فلسفي

المبحث الأول: السلطة والمعرفة

المبحث الثاني: السلطة بين الصراع والسيطرة

المبحث الثالث: السلطة وعلاقتها بالذات والحقيقة

المبحث الأول: السلطة والمعرفة

1- مفهوم الأركيولوجيا: هي ليست اللغة وإنما الأرشيف، أي الوجود المتراكم للخطابات فالأركيولوجيا كما يقول فوكو ليست جيولوجيا أي تحليل للطبقات الأرضية ولا جنيالوجيا أي وصف للبدايات والتواريخ، وإنما هي تحليل للخطاب في صيغة أرشيف، فالأرشيف إذاً هو موضوع الأركيولوجيا والتحليل الأركيولوجي، باعتباره ممارسة خطابية لها قواعدها وشروطها ومبداؤها في وصف الخطابات وتشكلها وتحولها وشروط ظهورها وتراكمها وتسلسلها.⁵

2-أركيولوجيا المعرفة:

« يتميز بحث فوكو في العلاقة القائمة بين المعرفة والسلطة بالكشف عن أساليب تعتمد عليها المعرفة لغاية التحصيل المعرفي وتوسيع دائرة ممارساتها، فكانت تلك الأساليب شرطاً لا يمكن الاستغناء عنه إلا أنه استطاع أن يتبين لنا وجهها الخفي الذي أحاط به الغموض فكشف في تلك الأساليب التي تعول عليها المعرفة لغرض إثبات وجودها وتبيان تلك الجوانب التي أقحمتها ضمن ممارسات الإكراه». ⁶ نفهم من هذا أن للمعرفة مفاهيم في الكشف عن السلطة، وربما قد تكون هذه المفاهيم عبارة عن نقد في بعض الأحيان وبذلك فهي تقلل من شأن المعرفة.

⁵ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ص114، 115.

⁶ - جيجيكة إبراهيمي: حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011، ص127.

أو الممارسات التي يتسلط الواقع عليها، يعني نوع من القمع والكبت، وهنا فإن الملفوظة هي موضوع الرغبة والصراع كباقي الأشياء الأخرى تهدف إلى المصالحة.¹ يبدو أن فوكو هنا قد اعتمد على الكثير من المفاهيم وذلك من أجل إدراك المعرفة وفهمها كمفهوم الإبستمية والخطاب، وهذا من أجل تحرير الأفراد من الممارسات السلطوية.

« بحيث لا تفقد هذه الملفوظات مفرداتها الكلامية بل حتى الصوتية نفسها، ذلك أن الدلالة المألوفة في النص التقليدي إنما تذهب بكل مادية الملفوظ، يفقد تصويته ويكسر التصويت الآخر الآتي من لهجة الدلالة نفسها (...) في خدمة السلطة الدلالية، ولكن كل ذلك لا يعني أبدا الدخول في النص الجينيولوجي. الأركيولوجيا دون أن يكون هذا الدخول نفسه تورطا له ذات طبيعية موضوعية، أي تورطا جينيولوجيا أركيولوجيا في آن معا². » نغني بهذا أن الخطابات الملفوظة لا تكون في إطار المنهج الأركيولوجي فقط، بل تتعدى ذلك إلى المنهج الجينيولوجي من أجل تفكيكها.

إن الرؤية في تاريخ الإبستمية يجعلنا نكشف أن المنهج الأركيولوجي له الفضل في معرفة عمق الإبستمية من خلال تظافر وتناظر إرادتي القوة والمعرفة، فالعمق التحفيزي للإبستمية سواء في تكوينها التاريخي أو في موقعها، يعني في باقي الأنساق المعرفية وأن الشيء الذي حققته المعرفة بعد انتهاء العصر الكلاسيكي والتوجه إلى عصر الحداثة البعدية وأن الأفكار لم تعد مجرد تصورات أو تمثيلات

¹ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص21.

² - ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، 1989، 1990، ص10-12.

لتكون في إطار المنهج الأركيولوجي فقط، بل تتعدى ذلك إلى المنهج الجينيولوجي من أجل تفكيكها.

إن الرؤية في تاريخ الإبستمية يجعلنا نكشف أن المنهج الأركيولوجي له الفضل في معرفة عمق الإبستمية من خلال تظافر وتناظر إرادتي القوة والمعرفة، فالعمق التحفيزي للإبستمية سواء في تكوينها التاريخي أو في موقعها، يعني في باقي الأنساق المعرفية وأن الشيء الذي حققته المعرفة بعد انتهاء العصر الكلاسيكي والتوجه إلى عصر الحداثة البعدية وأن الأفكار لم تعد مجرد تصورات أو تمثيلات لأشياء مقابل أشياء أخرى، لكي تتركب في الذهن، وإنما هذه الأفكار أصبحت تتزاح انزياحا ماديا. فمهمة الأركيولوجيا هي الكشف عن الإبستمية، وبذلك فإن الأركيولوجيا تبحث في كل ما يساهم في الكشف عن أشكال الفكر التاريخية وبالتالي فهي تشتغل على كل ما يشمل الخطاب¹.

يحدد فوكو مفهوم المعرفة بقوله: « هي ما بإمكاننا أن نتحدث عنه داخل ممارسة خطابية (...) فالمعرفة هي كذلك الفضاء الذي يمكن للذات أن تحتل فيه موقعا تتكلم منه عن موضوعات اهتمامها داخل خطاب معين (...) وكذلك هي حقل تتناسق الملفوظات (...) وأخيرا تتحدد المعرفة بإمكانيات الاستخدام والتملك التي يوفرها الخطاب². » نلمس من هذا أن المعرفة حسب فوكو هي الحقل الواسع الذي يضم جميع الملفوظات الخطابية.

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص172، 173.

² - السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص115.

3-دوافع فوكو في البحث عن العلاقة بين المعرفة والسلطة:

هناك دوافع عديدة جعلت فوكو يبحث في العلاقة بين المعرفة والسلطة من بينها ما يلي:

أ/الدافع الأول: كان من خلال حوار مع " أنري ليفي " يوضح بأنه لم يستعمل كلمة سلطة عندما تحدث في " تاريخ الجنون ومولد العيادة "، وإنما كان مجرد ارتباط فقط بالوضعية السياسية، وهذا الدافع من أجل استدراك إهماله لدور السلطة.

ب/الدافع الثاني: هو اعتقاد فوكو أن الذين سبقوه وبحثوا في مجالات عمل السلطة قد أهملوا الجانب الأساسي للسلطة وهو النظرة التحليلية العميقة التي من خلالها نستطيع إظهار آليات عمل السلطة.

ج/الدافع الثالث: هو تصحيح الآراء التي كان يحملها الكثير من الباحثين الخاطئة مثلا: عند نظرنا للعلوم لا بد من أن تكون نظرة مكثفة بتحليلات تاريخية.¹ فهذه كلها عبارة عن أسباب جعلت فوكو يتطلع للعلاقة الموجودة بين السلطة والمعرفة وهذا ما سوف نتطرق إليه في تحليلاتنا اللاحقة.

لقد تعددت المضامين المعرفية، وبذلك فإنها تختلف آثارها السلطوية والبحث هنا يكمن في كيفية معرفة الروابط والإقترانات بين آليات الإكراه وعناصر المعرفة وكيف أن عنصرا معرفيا يمكن أن تكون له آثارا سلطوية، ولذلك يقترح فوكو مفهومين هما المعرفة والسلطة، فالمعرفة تكون في حقل الإجراءات والآثار المعرفية، أما السلطة فهي تشمل جميع الآليات التي تكون في أنماط من السلوك و الخطابات، وبذلك فإنه ليس هنالك شيء اسمه المعرفة أو السلطة بل أشكال متعددة من

¹ - جيجيكة إبراهيمي: حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص126، 127.

المعارف والسلطات وبالتالي فإنه لا يمكن أن يكون هنالك عنصرا معرفيا إذ لم يكون هنالك تطابق بين قواعد آثار الإكراه ، وهنا الأمر يتعلق بوصف لجهاز المعرفة والسلطة وليس على كيفية قمع إحداهما للآخر هذا التحليل يسمى بالتحليل الأركيولوجي.¹ وبهذا يقدم لنا فوكو العديد من التقنيات والأساليب من بينها الامتحان والتحقيق من أجل تأكيد العلاقة بين المعرفة والسلطة.

-**التحقيق:** اعتبر فوكو التحقيق بمثابة رحم العلوم التجريبية كلها، إذ تعتمد السلطة عليه من أجل إعادة ترتيب الحقائق وتصنيف الأحداث إلى جانب مراقبة الممتلكات.² فالهدف من التحقيق هو جعل المعارف مكشوفة أمام السلطة.

-**الامتحان:** فهو نموذج نظري للعديد من العلوم الإنسانية كما انه مبدأ اصطفاء في المدرسة والمعمل وهذا ما أوضحها في "المراقبة والعقاب"، هذا كله من أجل معرفة العلاقة بين السلطة والمعرفة من خلال شبكة من التقنيات والفنون التي نحتت على معرفة الجسد وهذا ما أدى إلى تشكل هذا المركب بين السلطة والمعرفة.³ لأنه بدون الامتحان لا يمكن معرفة قدرة التلاميذ على الاستيعاب وبهذا يكون الامتحان أحد التقنيات الأساسية لكشف العلاقة بين المعرفة والسلطة.

¹ - جيبيكة إبراهيمي: حريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص127.

² - السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، ص179، 180.

³ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص95-97.

3- علاقة السلطة بالمعرفة:

لدراسة العلاقة بين السلطة والمعرفة لا بد من التطرق إلى نموذجين من أجل فهم هذه العلاقة:

أولاً: الجنون والحضارة: هدفه من دراسة هاتين الظاهريتين هو أن هنالك حضارات لم تعرف الظاهرة المرضية للجنون، وهذا من أجل تحليل العلاقة المعقدة بين مشكلات المعرفة ومتطلبات السلطة فقام فوكو بتقديم أطروحتين الأولى تتمثل في أن للجنون وظيفة ثابتة في كل المجتمعات ولهذا يقوم فوكو بتقديم صفات من أجل التعرف على المجانين وهذه في نظره أطروحة معرفية، أما الثانية تعكس أشكال السلطة التي خضع لها المجنون في العصر الحديث مثل المصحات والمستشفيات.¹ الغرض هنا أن فوكو أراد الكشف عن معرفة منزلة المجانين داخل المجتمع لأن الكثير أصبح لا يفرق بين المجنون والعاقل.

ثانياً: من تاريخ الطب والاستشفاء: «يتدرج تاريخ الطب في نظر فوكو فيما يسميه بالتاريخ الحيوي (...) ومنذ القرن الثامن عشر أصبح جسم الإنسان يخضع أكثر للطب بفعل التطور العلمي في مجال الطب (...) وتم الاعتراف بالجسد حقيقة سياسية حيوية في القرن التاسع عشر (...) ومن هنا تحول الجسد إلى قيمة سياسية وطبية من خلال ثلاثة أشكال وهو طب الدولة (...) يهتم بحياة الشعب (...) والثاني الطب الاجتماعي (...) والشكل الثالث هو طب قوة العمل». ² يعني هذا أنه قبل التطرق إلى مسألة العلاقة بين السلطة والمعرفة لا بد من الأخذ بهذين النموذجين نموذج الطب ونموذج الجنون باعتبارهما مفسرين لهذه العلاقة.

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ابداع، العدد 4-5، افريل 2000، ص 113، 114.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 201-204.

« نلاحظ أن فوكو يركز على أن التعامل مع الجنون يخضع (...) لطبيعة الخطاب المعرفي والسلطوي (...) خطاب المعرفة الذي يتحالف مع السلطة ويدخل في لعبة الثنائية التي يتتبعها فوكو بين المعرفي والسلطوي، المعرفي الذي يتظاهر بصيغ تبدو أنها معرفية ولكنها تمارس دورا سلطويا في الواقع، أو السلطوي الذي يمارس سلطته من خلال المعرفي».¹ ما يريد الإشارة إليه فوكو أن كل من السلطة والمعرفة هي مكملتان للأخرى وبالتالي لا بد من وجود علاقة تربطهما ببعضهما البعض.

وبناء على النموذجين السابقين نموذج الجنون والطب حل فوكو مسألة العلاقة بين السلطة والمعرفة، يقول فوكو: «إن الشيء الذي أدهشني لدى دراستي للعلوم الإنسانية هو أنه لا يمكن أن نفصل إطلاقا بين نشأة كل هذه المعارف وممارسة السلطة».² وبالتالي لا يمكن تحليل مفهوم المعرفة دون مناقشة مفهوم السلطة حسب فوكو.

«إن هذا الربط الذي يقوم بين المعرفة والسلطة يشكل نوعا (...) من الترابط بين المعرفة وإرادة المعرفة أي بالسلطة (...) إن إرادة المعرفة والسلطة عنصر أساسي في تحديد مفهوم المعرفة أو الحقيقة سمحت لفوكو بأن يقول أن الحقيقة ليست خارج السلطة ولا مجردة من السلطة (...) الحقيقة هي من هذا العالم».³ من خلال هذا نجد أن فوكو قد رأى بأن الحقيقة لا تخرج عن نطاق السلطة وبالتالي توجد قوة أخرى تنشأ جسرا بين المعرفة والسلطة.

¹ - حيدر ناظم: إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي قراءة في فلسفتي ميشيل فوكو وجيل دلوز، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2015، ص111.

² - الزواوي بغورة: مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص117، 118.

³ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص211، 212.

يقول ميشيل فوكو: « يجب أن نقبل أن السلطة تنتج المعرفة وأن المعرفة والسلطة تقتضي كل منهما الأخرى مباشرة، فلا علاقة سلطوية دون أن يتشكل حقل معرفي بالارتباط معها، كما لا توجد معرفة لا تفترض وتكون في آن واحد علاقات سلطة¹. » ومن هنا نلمس أن مشروع فوكو يتمثل في أن علاقة السلطة بالمعرفة هي علاقة وطيدة لأن أنماط المعرفة تنطلق من آليات الإكراه وآثار السلطة ومقوماتها السياسية.

يبدو أنه حيثما وجدة المعرفة وجدت بالضرورة السلطة والعكس صحيح، وقد بين فوكو أن كل منهما تحمي الأخرى وأن العلاقة بينهما ليست علاقة صراع وقمع فقط بل علاقة إنتاجية وهذا ما أكدته فوكو حين قال: « لا تلعب علاقات السلطة بالنسبة للمعرفة دور التعطيل أو التسهيل فقط، ولا تكتفي بتفسيرها أو تزيفها والحد منها ليس كل ما يربط السلطة بالمعرفة لعبة المصالح أو الإيديولوجيات فقط، فما من معرفة قادرة على التكوين دون نظام التدوين والتواصل أو التجميع والنقل². » وفاد هذا أن فوكو اعتبر أن العلاقة بينهما ليس علاقة سلب وإنما أيضا هي علاقة بناء وحماية كل واحد للأخرى، وبالتالي فإن السلطة والمعرفة تجمعهما علاقة تبادلية ولا يمكن استغناء واحدة عن الأخرى.

يقول فوكو: « أن السلطة والمعرفة تقتضي إحداها الأخرى، وأنه لا توجد علاقة سلطة بدون تأسيس مناسب لحقل المعرفة، وأنه لا توجد معرفة لا تفترض، ولا تقيم بذات الوقت علاقات سلطة. هذه الروابط بين السلطة والمعرفة ليست إذا مما يجب تحليله. انطلاقا من موضوع معرفة يكون حرا، أو غير حر بالنسبة إلى نظام

¹ - السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، ص 185، 186.
² - جيجيكة إبراهيمي: حريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص 149-153.

انطلاقاً من موضوع معرفة يكون حراً، أو غير حر بالنسبة إلى نظام السلطة. ولكن بالعكس يجب أن نعتبر الفرد الذي يعرف، والأغراض التي تتوجب معرفتها، وأنماط المعرفة هي مفاعيل لهذه المقتضيات الأساسية للسلطة-المعرفة، ولتحولاتها التاريخية¹.¹ يعتبر فوكو أن إنتاج المعرفة يعطينا في الحد ذاته امتلاك السلطة وذلك من خلال تلك الخطابات وأيضاً من خلال الفرد نستطيع أن نصل إلى تلك الروابط بين المعرفة والسلطة.

« يقر فوكو أن إنتاج المعرفة من بين الطرق التي يتوصل من خلالها الإنسان إلى امتلاك السلطة (...) إن للمعرفة سلطة تتجلى من خلال ذلك النفوذ الذي تبلغه بتشكل خطاباتها (...) وأن للسلطة مبادئ عديدة تتميز بالصرامة (...) منها مبدأ الخصوصية ومبدأ ندرة العبارة، ومبدأ وفرة العبارة ومبدأ إخضاع الجسد².² يعني هذا أن للمعرفة سلطة من خلال الخطابات ولا بد أن تكون لهذه السلطة مبادئ بحيث أنه لا يمكن أن تكون المعرفة متاحة للجميع إلا من خلال السلطة التي تشكلها تلك الخطابات.

« إن علاقة السلطة بالمعرفة تلك العبارة التي شكلت موضوع حريات المعرفة سواء كان الأمر يتعلق بحريات للإستلاب أو للمرض أو للعلوم الإنسانية لها علاقة وطيدة بسلطة الحقيقة (...) هو اعتبار المعرفة شيئاً محايداً أو منفصلاً عن الشروط التي يمارس فيها (...) فالمعرفي والعملي لا ينفصلان مادام كل واحد منهما يجد أصله في نفس الممارسة، هذا ما يجعل من المعرفة سلطة تفرز وتصنف وتقسّم

¹ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مركز الإيماء القومي، بيروت، لبنان، دط، 1990، ص65.

² - جيكية إبراهيمي: حريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص134.

وتقصي، لأنها في عمقها ممارسة (...) فهناك علاقة وطيدة لا يمكن تغيير إحداها بدون تغيير الأخرى¹. يعني هنا أنه لا يمكن فصل المعرفة عن السلطة، فكل واحدة منهما مكمل للآخرى، وأن تقنيات المعرفة وممارساتها بكل أنواعها لها علاقة بالسلطة ولا يمكن إنكارها.

« إن السلطة لفترة ما بعد القرن الثامن عشر (...) أصبح للعقاب القانوني (...) تغيرات متولدة عن ظهور مؤسسات تتعامل مع تكوين معرفة الأفراد، وهكذا ترتبط المعرفة بالسلطة ويصبح السجن أداة للمعرفة (...) وبذلك أن الرغبة الجنسية الرابطة بين السلطة والمعرفة². نفهم من هذا أنه بواسطة الأفراد ورغباتهم الجنسية أصبح هنالك علاقة وطيدة بين المعرفة والسلطة حسب فوكو.

« كل آثار الانقلاب المعروف فذلك لأنها كانت محمولة بنمطية نوعية وجديدة للسلطة، نوع ما من سياسة الجسم وكيفية ما لجعل تراكم الناس طبعاً ومفيداً وهذا التراكم يقتضي إدخال علاقات محددة من المعرفة في علاقات السلطة³. وبهذا فإن ممارسة السلطة تؤدي إلى تراكم المعلومات التي تعتبر شكلاً من أشكال المعرفة واعتباراً لهذا فإنه من غير الممكن أن تكون المعرفة في جهة والسلطة في جهة أخرى وإنما المعرفة في حد ذاتها سلطة وهذه الأخيرة بدورها تستطيع جلب المعرفة إليها.

¹ - إدريس هواري: جينيالوجيا الحقيقة عند ميشيل فوكو، إدريس هواري: جينيالوجيا الحقيقة عند ميشال فوكو، WWW.aljabriabed.net/N13-02houari.htm ص7.

² - جون ليشته: خمسون مفكر أساسياً معاصراً من النبوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص237، 238.

³ - ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 299.

« على أساس هذا نستطيع القول أن فوكو قدم مقارنة معرفية جديدة لمفهوم المعرفة والسلطة وأنه استطاع الجمع بين مسائل الخطاب والمعرفة والسلطة، وقدم أبحاثاً في صورة نماذج عينية المتعلقة بالمراقبة والمعاقبة أو مولد السجن الذي درس فيه مختلف الممارسات الغير خطابية من خلال أشكال التعذيب والعقاب و الإنضباط التي جسدتها مختلف مؤسسات الإنضباط وخاصة مؤسسات السجن المتهورة مع مسائل المعرفة والسلطة».¹ إن فوكو في دراسته للسلطة والمعرفة اعتبرهما شكلان متكاملان لا نستطيع فصلهما بالرغم من أن لكل واحدة اتجاهاتها ومضامينها.

4- السلطة والمثقف: « يميز فوكو بين المثقف الكوني والمثقف المتخصص، فالمثقف الكوني يعتبر نفسه مالك الحقيقة والعدالة "أن يكون المرء مثقفاً معناه أن يكون ضمير الجميع وممثل الكل" (...) أما اليوم فالمثقف المتخصص مثقف في حدود معينة (...) يعني مثقفاً إلا في مجالات اختصاصه (...) فالمثقف التقليدي الذي أنتجته قضية دريفوس حقوقي شريفي (...) أما المثقف الجديد الذي أنتجته ثورة ماي 1968 فهو عالم متخصص».² ففوكو يميز بين نوعين من المثقف وهو يركز على المثقف الكوني باعتباره كائن حر وله ضمير وبالتالي قام فوكو هنا بتغيير تصوره للمثقف وذلك إبان أحداث ماي 1968.

يقول دلوز: « كان فوكو يقول أن المثقف توقف عن كونه كلياً ليصبح نوعياً أي لم يعد يتكلم باسم قيم كلية، بل باسم اختصاصه ووضعه ».³ فالمثقف بهذا المعنى لم

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص118.

² - محمد الشيخ: المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، ص108-109.

³ - جمال نعيم: جيل دلوز وتجديد الفلسفة، ص162.

يعد ينظر إليه على أنه شامل لكل القيم بل أنه أصبح مجرد مثقف في اختصاصه فقط وثقافته هذه مبنية حول موضوعات محددة إما في حياته أو عمله.

إد بين فوكو أن موت المثقف التقليدي هو انهيار لنظرية التمثيل، لأن المثقفين اعتبروا بأن الجماهير لم تعد تحتاج إليهم لمعرفة واقعها بل إنها تعرف ذلك بشكل أحسن منهم، لكن فوكو يرى بأنه يوجد نظام من السلطة يقلل ويمنع قيمة هذا الخطاب وهذه المعرفة وأن هذه السلطة توجد في كل شبكات المجتمع واعتبارا لذلك فالمثقفون هم يشكلون جزءا من نظام السلطة، وبالتالي هنا لم يصبح دور المثقف هو الأخذ ما كان أمامي وجانبي من أجل قول الحقيقة بل لا بد أن يصارع ضد أشكال السلطة سواء في نظام المعرفة أو الحقيقة أو الوعي أو الخطاب، وهذا ما ذهب إليه قبله الفيلسوف "سارتر" في التساؤل حول دور المثقف الذي أحدثته ثورة ماي 1968 من تغيير في التصور الذي كان لديه حول المثقف.¹ يعتبر فوكو هنا أن مهمة المثقف تتمثل في معرفة كيفية مواجهة هذه السلطة المعرفية وكيفية تغييرها إلى الأحسن، وأن مهمة هذا المثقف الجديد هو التدخل في كل المجالات وليس فقط في اختصاصه.

ففوكو نجده يهتم بالانشغال السفلي للسلطة وينقد الخطاب الطوباوي والثوري ولذلك نجده قد اقترح إستراتيجية لهذا التمرد من أجل أخذ الاعتبار للسلطة على أن تكون ذات مواقف سياسية متميزة وذلك من أجل الخروج من المأزق التقليدي، وهنا نجد فوكو يطرح مسألة المثقف من خلال كيفية جعل هذا المثقف يدخل في مواجهة هذه المعرفة السلطوية وكيف يستطيع تغييرها، وبالتالي سيحدد المعرفة جينالوجيا على أنها سلطة وهذا لا يكون إلا من خلال حضور المثقف وهذا الأخير حسب

¹ - محمد الشيخ: المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، ص109.

فوكو ليس حارس للحقيقة بل كشاغلها من أجل إعادة بريقها أي وضوحها من جديد وبالتالي يدعو فوكو المثقف بعدم إصدار الأحكام والتحفظ عليها كما لو كان ضمير الأمة، من هنا يرى فوكو أن المثقف الحقيقي هو الذي يرتبط بالسلطة والحقيقة وهنا يتمحور دور المثقف حسب فوكو في كيفية كشفه للحقيقة باعتبارها مجالا للصلح والصراع. بمعنى أننا نستنتج أنه توجد علاقة بين المثقف ودوره في المعرفة السلطوية، باعتبار أن المثقف حسب فوكو هو الذي يتكلم باسم الإنسانية والحقيقة فهو شمولية للمعرفة والسلطة وبالتالي فدوره يكمن في قول الحقيقة وأن يصارع ويناضل ضد أشكال السلطة وفي الوقت نفسه لا بد أن يكون موضوعا وأداة في نظام المعرفة والحقيقة.¹ هنا يعتبر فوكو المثقف الجديد بمثابة المغير، ويعتبره بأنه مثقف التعدد والاختلاف يعني ملم بجميع الجوانب وليس بجانب واحد.

المبحث الثاني: السلطة بين الصراع والسيطرة

يبدو أن فوكو في تطرقه لمسألة الصراع، لم يحدد مجال واضح لهذه المسألة واعتبر أن كل سلطة هي في حد ذاتها صراع، وبالتالي ففوكو هنا يتحدث عن الصراع بين الثقافات وكذلك الصراع بين الشعوب. باعتبار «أن الصراع الطبقي حسب فوكو هو بالنسبة لصراعات القوة المحلية وذلك ضمانا لوضوحها».² ففوكو يعني بذلك الصراع الآن أصبح حسب فوكو هو صراع السلطات.

يقول فوكو: «إن الصراع بين فكرين ذكيين خالصين فكر القاتل، وفكر رجل المباحث يكون الشكل الأساسي في المواجهة. وبذلك غـدونا بـعـيـدين كل البعد عن تلك

¹ - سيرا ج منير: ميشيل فوكو في مواجهة السياسة المثقف والسلطة، 12:35، 2013 الموقع: <https://Siraj>

monir.wordpress.com

² - ميشيل وولزر: السياسة عند ميشيل فوكو، ترجمة ممدوح عمران، ص58.

القصص التي كانت تفصل حياة ومساوئ المجرم. والتي تجعله يعترف من ذاته بجرائمه (...) من المواجهة الجسدية إلى الصراع الفكري بين المجرم والمحقق¹. « يقصد هنا بأن كل سلطة فكرية فهي تفرض بضرورة الصراع وذلك من أجل التخلي عن السلطة التي كانت تتمحور في الجسد والآن أصبحت عبارة عن صراعات فكرية.

« ليسامحني أولئك الذين تعني لهم البرجوازية إلغاء الجسد وكبت الجنسانية وأولئك الذين يعني الصراع الطبقي عندهم نضالاً لإزالة هذا الكبت (...) وكان هذا السياق مرتبطاً بالحركة التي أثبتت من خلالها اختلافها وسيطرتها². « إن ميشيل فوكو هنا يرفض أن يكون الصراع الطبقي عبارة عن مجرد مكبوتات بل لا بد أن يكون صراعاً فكرياً من أجل التخلص من تلك الصراعات التي كانت سائدة فيما قبل ولذلك لا بد من التكلم عن سلطة فكرية تفرض وجودها من أجل التحرر.

يقول فوكو: « إن ما يبذله الأفراد من صراع للحفاظ على فرديتهم (...) ضد كل محاولات التفرقة بينهم وبين أقرانهم وكذلك التي تتم ضد الامتيازات والاحتكارات المعرفية، (...) إن هذه الصراعات المختلفة يقصد بها الحفاظ على هوية المحكومين أو الخاضعين للسلطة ومقاومة كل ألوان العنف (...) ومن خلال هذه الأشكال من الصراعات يتحول الأفراد إلى ذوات واعية، إذن الذات تكتسب من خلال عملية المقاومة³. « نفهم من هذا أن فوكو أراد القول بأن تلك الصراعات التي تكون

¹ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 96.

² - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص 130.

³ - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة لدى ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د، ط، د، ت، ص 414، 415.

في الأجساد ما هي إلا عبارة عن آثار سلطوية، وأن السلطة هي المسؤولة عن كل تلك الصراعات وبالتالي فإنه حيثما كان هنالك صراع كانت هنالك سلطة والعكس صحيح.

« لقد كان الصراع من أجل تحديد سلطة العقاب تحديد يجعله يرتبط مباشرة بضرورة إخضاع اللا شرعية الشعبية لرقابة أشد¹. يتبين لنا هنا أن فوكو يرى الصراع ما هو إلا عبارة عن سلطة فلقد أضحى الصراع يعبر عن تلك العقوبات التي يتلقاها الفرد داخل المجتمع.

« إن التاريخ هو تاريخ الفواصل والمحاولات والصراعات (...) وبذلك يركز فوكو على الصراع المعبر عن التحولات والتغيرات (...) ليس كما عناه هيجل ولا ماركس ولا أفلاطون (...) فالصراع الذي يعنيه فوكو أشبه ما يكون بالفوضى (...) كما بينته إرادة المعرفة حيث تحدث الصراعات صدعا متنقلا المجتمع وانفصاما في الأفراد تشتتهم وتعيد صياغتهم (...) فالصراع كائن في صيرورة الإنجاز ودوام حركته (...) إن إلحاح فوكو على مفهوم الصراع هو إلحاحه على مفهوم التاريخ². لقد أعطى فوكو معنى آخر للصراع على عكس ما ذهب إليه بعض الفلاسفة، فهو بهذا وكأنه أراد القول أن الصراع هو صراع سلطات فكرية تعبر عن الحركة والتطور داخل المجتمع.

« فالجسد من خلال انخراطه في اللعبة السلطوية (...) فقد أصبح أيضا حلبة صراع وعلامة حياة قادرة على المواجهة (...) وبالتالي هنا هو إزاء سيروية صراع جد

¹ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة، ص 115.

² - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة لدى ميشيل فوكو، ص 416.

واقعية¹». فالجسد أصبح موقع صراع من أجل المواجهة بعدما كان موقع للتعذيب والهيمنة فتحوله هذا جعله موطن استثمار وحلبة للصراع.

يعتقد فوكو بأن النظام الحالي في المجتمعات الغربية هو الصراع ضد كل أنماط إخضاع الذات الفردية والجماعية للسلطة، وكبت حرياتهما، وذلك بهدف تطويعها والسيطرة عليها، وبذلك يقول أن الدولة الحديثة قد ورثت هذه التقنية من السلطة الدينية أي سلطة الكنيسة القديمة التي نشأت إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر وهي ما يعرف بحركة الإصلاح الديني البروتستانتية وقد أطلق فوكو على هذا النوع من السلطة اسم السلطة الرعوية، هذه السلطة تدعي نجاة الفرد في الحياة القادمة من خلال ممارسة طقس الاعتراف هذا النوع من الطقوس يستهدف نفسية الفرد، ومن هنا المعرفة بكل خباياها وهذا ما يساعد في التأثير عليه، ومن هنا يصبح بمثابة لعبة في يد السلطة توجهه على حسب هواها.² فمن خلال الصراع المتعدد بين القوى تنتج السيطرة التي تهدف إلى الهيمنة على الأفراد.

تقنيات السيطرة*: إن القرن التاسع عشر كان من أهم مميزاته أنه أبدى ظهور نوع جديد من المعارف، حيث كان الاهتمام بمختلف العلوم مثل: الفيزياء وعلم الأحياء، وفي ظل هذا التطور العلمي قد فقد الإنسان إنسانيته، وذلك بسبب تموضعه مثله مثل العلوم الأخرى وأصبح تجرى عليه تجارب مختلفة ومتنوعة لمعرفة علمه كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس. فأصبح مثله مثل باقي العلوم وهذا ما أدى إلى

¹ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص90.

² - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة لدى ميشيل فوكو، ص416.
*السيطرة: يسيطر، سيطرة، فهو مسيطر، وسيطر الشخص على غيره تحكم وتسلط وتمكن.
أنظر: أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربي المعاصرة، (السيطرة)، ص1064.1065.

موت الإنسان على حد تعبير فوكو، وهنا يبرز لنا تأثير فوكو بالفكرة النيتشوية "موت الإله" أي موت القيم الأخلاقية. هذا الإنسان حسب فوكو كان موته على يد تلك السلطة التي كانت تقهر وتقتل إنها تلك السلطة الملكية التي تفردت بالسلطة في القرون الماضية، أما اللحظة المعاصرة فهي لا تمارس سلطة القتل بل على العكس من ذلك، أي أنها تحافظ على الحياة وتفرض سيطرتها وتسلطها من خلال مؤسسات وأجهزة غير مرئية يخضع الإنسان لها بطريقة غير مباشرة.¹ فقد فقد الإنسان نزعتة الانسانية وذلك نتيجة للتطور العلمي الحاصل في شتى الميادين وأصبح خاضع لآليات علمية مثله مثل الآلة منصاع لها غير قادر على مجابهتها والفرار منها.

هذا اللفظ "موت الإنسان" الذي أطلقه فوكو على الإنسان الحديث والذي هو في نظر فوكو ليس سوى حدث معرفي مؤقت. خلقت ثقافة القرن التاسع عشر ولكنه معرض للزوال في أية لحظة حتما ولن يبقى له أي أثر، كون أن هذا الإنسان حسب فوكو ليس له ماضي ولهذا لن يكون له حاضر حتما وسرعان ما يختفي هذا الإنسان ستختفي معه كل نزعة إنسانية حتى التاريخ سيزول معه. فالإنسان بات في خطر يهدد وجوده طيلة الوقت ويهدد حريته التي هو في غنى عنها.²

ومن هنا يصبح بدون حرية، هذا الإنسان فقد طابعه الروحي الحر سواء من الناحية العقائدية أو حتى إحساسه الجمالي والذوقي. هذا الواقع المزري الذي أصبح هاجس التفكير الفوكوي طيلة فترات أبحاثه على الوضع الذي شغل فكره في مجمل كتاباته خاصة كتابه "المراقبة والمعاقبة" الذي بين فيه فقدان الإنسان لحريته من خلال تلك الطرق التي سيطرت على جسده وروضته، حتى أصبح عبارة عن أداة

¹ - عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، د، ط، 1989، ص 207-109.

² - عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر ليفي سترأوس ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992، ص 130.

تفرض عليها وصاية الإمتلاك والتحكم في مختلف مجالات حياته منها الثقافية والسياسية وهذه كانت نتيجة سلب الحرية والإرادة الواعية، وقد كان تركيزه في بحثه هذا على سلطة السيطرة على الجسد، فالجسد آنذاك كانت تمارس عليه نظم التربية والتأديب، سواء كان هذا التأديب بطرق إغرائية من خلال مختلف أشكال الفنون، أو بطرق الجبر والقهر والانتصياح.¹ فالغاية من توجيه الإنسان كانت من أجل التحكم في الذات والسيطرة عليها لتتسع بعد ذلك وتأخذ شكل الهيمنة الكلية.

فوكو أعطى أهمية كبيرة لسوسيولوجيا الجسد بدءاً من نقده للفكر الديكارتي، الذي كان على خلافه فهذا الأخير قد اهتم بالروح (العقل) واعتبره هو الأساس الذي تبنى عليه كل معارفنا، لذا وجب التركيز عليه وبمقابل ذلك اعتبر أن الجسد إنما هو مصدر للشهوات والغرائز لذا وجب تهيمشه، وخلافاً لهذا فإن فوكو قد انصب اهتمامه على منحى آخر وهو الجسد الذي كان مهمش لذلك رأى بأنه يجب إعادة الاعتبار له من خلال الكشف عن تلك الآليات أو كما يسميها هو المسكوت عنه أي الجسد. الذي كانت تمارس عليه من طرف المؤسسات المختلفة كالسجن والمدرسة والمصنع والمستشفى.² حيث أمسى هذا الجسد داخل هته المؤسسات يمثل المسيطر عليه لذا وجب أن يتخلص من هذه التقنية.

يقول ديكارت في كتابه تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: « يجب القول أن الأشياء، التي نتذهن بوضوح وتميز أنها جواهر متباينة، مثلما نتذهن بالروح والجسم،

¹ - حسن المصدق: البيولوجية السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، تقنية السيطرة على الجسد في أعمال ميشيل فوكو، العدد 11، 2007/07/26، ص1.

² - حسني إبراهيم العظمي: ميشيل فوكو وتأسيس سوسيولوجيا الجسد، الحوار المتمدن، 2001/5/4، www.ahewar.org

هي حقا جواهر متباينة، متمايضة بعضها من بعض، في واقع الأمر ¹. بمعنى هنا أن النفس على خلاف البدن الذي يتميز بالفناء ومعرض للإضمحلال، بينما النفس هي التي تتميز باستمرارها ودوامها.

وعلى ضوء هذا التصور الديكارتي الذي أعطى فيه مكانا للعقل، وأهمل دور الجسم يأتي الفيلسوف "فريدريك نيتشه" ليهدم هذه الرؤية التي طالما سيطرت على الفكر لمدة زمنية طويلة، فهو يرى على حد تعبيره بأن الكذب هو الذي يدعي الحقيقة، إلى غاية يومنا هذا ليرشح نفسه بأنه الكاشف لذلك الوهم الكاذب فاكشف نيتشه بأن فكرة الجسد أكثر إثارة للدهشة من فكرة النفس العتيقة فيقول في هذا المجال: « تلك هي صيغتي المبجلة للتعبير عن أرقى وعي ذاتي للإنسانية قد تحول لحما وعبقريه لدي. قدري هو الذي أراد لي أن أكون أول إنسان مستقيم وأن أعي نفسي كنقيض لأكاذيب الآلاف من السنين (...) إنني أول من اكتشف الحقيقة لأنني استطعت أن أرى إلى الكذب ككذب» ². فالجسد في رؤية نيتشه له حريته في مواجهة كل سلطة وله الحق في أن يرفض كل خضوع وديع، يواجه به الحداثة والعقلانية الروحية.

أما فوكو فقد أدلى اهتمامه بالجسد، من خلال مناقشته لمسألة السلطة، فهو يفترض بأن هناك مصطلح قد تم استخدامه أثناء تحليله للسلطة، وهو مصطلح السيطرة الذي تتدرج تحته مفاهيم تدل عليها لفظتي "اضبط" و"عاقب" هاتين الكلمتين تدلان بشكل

¹ - رنيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1988، ص11.

² - فريدريك نيتشه: هذا هو الإنسان، ترجمة علي مصباح، منشورات الجمل، دط، دت، ص154.

واضح ومباشر على تلك التقنيات التي كانت تمارسها السلطة على سلوك الآخرين من أجل تطويع الجسد.¹

يعتقد فوكو هنا أن الجسد ليس إلا مجرد كيان اجتماعي ناتج عن نظم السلطة التي تخضه وتجعله جسدا لينا طيعا، فهو قد اعتبر أن الحياة الاجتماعية ما هي إلا عبارة عن ضبط محكم وبإتقان من خلال المراقبة.

وتبعاً لهذا يعرض لنا فوكو تقنيات الرقابة والعقاب التي كانت سائدة في المجتمع الغربي خلال القرن السابع عشر والمتمثلة فيما يلي:

1- وسائل الممارسة السلطوية وتقنيات المراقبة والمعاقبة:

أ- **الفرضية القمعية على *الجنس:** يعتبر الجنس من أهم المواضيع التي أعطى لها فوكو أهمية بالغة في مجمل أبحاثه، لذا وجب علينا أن نبين وجه الاختلاف بين كل من مفهوم الجنس والجنسانية. فالجنس حسب فوكو هو عبارة عن عملية حيوية مباشرة تشكل جزء من رقابة العضوية من أجل الحفاظ على الوجود البشري، كما أنه أيضاً مطلب غريزي يحقق لنا لذة. أما الجنسانية فهي تلك التقنيات التي تدار فيها حياتنا الجنسية بمعناها الشمولي. ولهذا كان اهتمام فوكو منصبا على الجانب الثاني، أي على الجنسانية، ليدرس تلك الآليات التي تمارس على الذوات من خلال

¹ - باري هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ترجمة ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2000، ص125.

*الجنس: المعنى العام: يقصد به الهيئة الجسمية التي تعين الدور الذي يؤديه الكائن الحي في عملية التناسل.

المعنى الخاص: فهو مجموعة الخصائص الجسمية والنفسية التي تميز الذكر من الأنثى، وفي الجنس البشري الرجل عن المرأة.

أنظر: مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (الجنس)، ص251.

الرقابة المستمرة والعقاب بغية السيطرة على الإنسان.¹

المقصود من هنا أن الجنس بالمعنى الأول إنما هو مطلب بيولوجي للحفاظ على النوع الإنساني في الحياة الواقعية، أما المعنى الثاني للجنسانية فهو بمثابة دراسة تاريخية للأنظمة المؤسسية التي تفرض الرقابة الشديدة على الأفراد.

يقول فوكو في كتابه تاريخ الجنسانية: «القرن السابع عشر بداية عصر القمع، خاص بالمجتمعات التي ندعوها برجوازية، والذي قد تكون لازلنا لم نتحرر منه حتى الآن، وتسميته الجنس تكون قد أصبحت، ابتداء من هذه اللحظة، أكثر صعوبة وأكثر تكليفا. كما لو أنه كان يجب، من أجل السيطرة عليه في الواقع». ²بمعنى أن الطبقة الحاكمة آنذاك قد فرضت عقوبات قمعية وقهرية على كل من يتكلم عن الجنس بغية السيطرة على الأفراد.

فلقد فرضت الحضارة الغربية الحديثة طقس الاعتراف بكل ما يخص لعبة المتع الجنسية، فأضحت الذات الممارسة للجنس أن تعترف بممارستها التي تعتبرها الكنيسة أنها بمثابة ذنب، لذا وجب الاعتراف من أجل نيل صك الغفران والتوبة في مناسبات خصصتها هي خلال العام فتفصح الذات عن رغباتها ومشاعرها داخل الكنيسة المسيحية، لفحص الذات من قبل نفسها لتقول ما يدور داخل نفسها وجسدها من رغبات مكبوتة وأفكار وتخيلات شهوانية بطريقة عفوية، أي أن هذا الاعتراف يتم بطريقة تلقائية بصفة مباشرة وبعد هذا الفحص المجري على النفس والجسم تتمكن السلطة الدينية بالتحكم في الأفراد.³ فالسلطة هنا تسيطر على الأشخاص باسم الدين.

¹ - حيدر ناظم محمد: إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي، ص129.

² - ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانية إرادة العرفان، ص15

³ - جيبيكة إبراهيمي: حفریات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص90

الذي تعتبره بمثابة خلاص لهم من تلك الذنوب ولكنها في حقيقة الأمر، إنما هدفها هو إخضاعهم والتحكم فيهم لخدمة سياستها واقتصادها.

يشيد فوكو إلى هذا بقوله: « فنحن نعترف. أو نحن مجبورون على الاعتراف. وعندما لا يكون تلقائياً، (...) فإن الاعتراف ينتزع انتزاعاً، فنحن نطارده في النفس، أو ننتزعه من الجسد. ومنذ العصر الوسيط، يرافقه التعذيب كظل له، ويدعمه عندما يتهرب».¹ فعندما يخرج الفرد عن نطاق الانصياع للاعتراف الجنسي، حينها يجب الخضوع لتقنية أخرى وهي العقاب التعديبي الذي لا هروب ولا مفر منه.

كما يقول أيضاً فوكو: « في كل مكان، أعدت طرق على الكلام، وفي كل مكان أجهزة تدعو إلى السماع والتسجيل، وإجراءات للمراقبة والاستجواب والإيضاح. فتخرج الجنس من مخبئه وتكرهه على أن يكون له وجود خطابي ».² هذه الممارسة الرقابية التي فرضت على الجانب الجنسي الإنساني تدعو إلى الضغط والإكراه على الجنسية من خلال آلية الإفصاح بالدرجة الأولى.

¹ - ميشيل فوكو: تاريخ الجنسية إرادة العرفان، ص51.

² - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص51.

ب- الفرضية القمعية على*الجنون: اكتشف فوكو أن المجنون طيلة الفترات التاريخية قد كان منبوذاً، وتمارس عليه سلطة القمع من خلال مؤسسات الطب النفسي، وكذا من المجتمع. خاصة الطبقات البرجوازية المسيطرة، فهذه الطبقة لم تكتفي بفرض حكمها وتسلطها الاقتصادي والسياسي بل غدت إلى فرض سيطرتها حتى على الجانب الأخلاقي والثقافي، واعتبرت أن كل شخص يخرج عن نطاق منظومتها الأخلاقية ستعتبره أنه مجنون، ويتم تصنيفه داخل حقل اللاعقل ويتم ذلك بإقرار من طرف الأطباء العقليين والنفسيين، على أنه مريض باتفاق منهم بعد فحصه.¹ إذن وعلى ضوء هذا فإن مسألة الجنون لم تكن مسألة مرتبطة بالطب فحسب بقدر ما كانت مرتبطة بكل ما هو ثقافي أكثر فأكثر.

يقول فوكو: « إن الأمر يتعلق بظاهرة الجنون. وهي ظاهرة ظلت في حالة كمون لمدة قرنين تقريباً، وتشكل حالة رعب كذاك الذي أحدثه الجذام. وستثير كما فعل هو، حالات العزل والإقصاء والتطهير(...) وقبل أن تتم السيطرة على الجنون أواسط القرن السابع عشر، وقبل أن تثبت عنه مجموعة من الطقوس كان الجنون مرتبطاً بكل التجارب الكبرى التي عرفها عصر النهضة(...) فالسفن التي كانت تنقل حمالتها الجنونية من مدينة إلى أخرى وجدت حقا². فالمرض العقلي عرف هو الآخر

*الجنون: هو الخلل العقلي الشديد، وقيل هو زوال العقل، أو فساده. أو ضياع العقل أو الذهان أو المس.

وقد يطلق الجنون أيضاً على الشذوذ، والوسوسة، والحمق والهذيان، والتصورات، أو على كل ما يخالف الصواب، أو يجوز حد الاعتدال.

أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (الجنون)، ص. 418

¹ - هاشم صالح: فيلسوف القاعة الثامنة، مجلة الكرمل، العدد 13، فلسطين، 1 يوليو 1984، ص 18.

² - ميشيل فوكو: تاريخ الجنون، تر: سعد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2005، ص 28، 29.

أسلوب سيطرة ممارس عليه من طرف المؤسسات الطبية حيث عزل المجانين عن الوسط الاجتماعي إبان عصر النهضة.

لم يكن لفوكو سوى ملجأ واحد ليعرض فيه العزل السلطوي على المجانين وهي تلك اللوحة التي رسمها الفنان "جيروم بوش Jérôme bosch" معبرا عنها في صورة سفينة أطلق عليها اسم سفينة المجانين، أظهر فيها كل مظاهر البؤس والمعاناة التي كانت سائدة في عصر النهضة داخل الثقافة الأوروبية الغربية، حيث أن المجانين آنذاك قد تعرضوا لكل مظاهر القمع والتشرد، فطردوا وعزلوا إلى أماكن بعيدة ومهجورة وخالية.¹ تلك السفينة التي تحدث عنها فوكو كانت تنقل المجانين وتبحرهم إلى أماكن خارج المجتمع المتمدن وتأخذهم إلى أماكن بدوية يأتي فيها هنا ويتجولون حتى أنه لا يعرفون أي اتجاه سيسلكون.

والمتمعن في أطروحة فوكو الخاصة بالجنون واللاعقل التي ناقشها في أيار/مايو 1961. يعلن فيها قائلاً أن العصر الكلاسيكي-هو عصر ديكارت-أي عصر العقلنة وغياب الجانب اللاعقلي، وفي هذا الصدد يوجه فوكو نقدا لاذعا يدحض فيه الرؤية العقلية الديكارتية كون أن هذا الأخير ألغى واستبعد من أبحاثه. الجنون، ومن هنا فقد صب إهتمام فوكو على خارطة اللاعقل، وشغل نفسه في البحث عن ذلك المنبوذ.² فديكارت حسب فوكو قد ألغى خطاب المجنون، وكان إقراره فقط منصب على خطاب العاقل، ونفى نفيا قاطعا الجنون من ساحة أي معرفة.

¹ - جيجيكة إبراهيمي: حريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص23، 24.

² - جون ليشنت: خمسون مفكر أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ص235.

فالعصر الكلاسيكي حسب فوكو قد سكت عن الجنون بقوة غريبة، حيث أن ديكارت وصف حالة الجنون ضمن رحلة الشك عنده، إضافة إلى الحلم فمن المعروف أن ديكارت قد استخدم المنهج الشكي بغية الوصول إلى الحقيقة، ومن خلال رحلاته البحثية الشكية حدث التقاء بالحلم والوهم، كما أنه إلتقى بالجنون، فاعتبر نفسه بأنه ذات مفكرة، تحلم وتتوهم وتخطأ أيضاً، حتى أنه نقد حواسه واعتبرها مصدر خطأ وزلل ولكنه نفى نفياً كلياً وقطعياً الجنون، فلم يتصور نفسه أن يجن ولو لبرهة من الزمن.¹ معناه أن ديكارت يرفض الجنون ويستبعده من دائرة أبحاثه فهو قد مجد العقل. وأهمل الجانب اللاعقلي.

2: تقنيات ممارسة السلطة الانضباطية:

أما النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد ظهرت تكنولوجيات جديدة للسلطة، هذه المرة لا تقتصر فقط على الجسد الفردي فحسب بل تتعداه إلى أبعد من ذلك أي إلى الجسد الاجتماعي ككل، بمعنى ليس جسداً فردياً بل كبنية كلية، تخص حياة الجماعة بما في ذلك الولادات، الوفيات، المرض... بمعنى أن السلطة هذه المرة قد ركزت على النوع البشري وليس على الفرد بصفة خاصة أطلق على هذا النوع إسم "السياسة الحيوية" للنوع البشري، فالسلطة هنا قد وضعت أشكال جديدة لتراقب من خلالها الظواهر الاجتماعية بمختلف أنواعها.² فالمجتمع الإنضباطي قام بضبط حيات الناس من خلال تكتيكات حركية ليخضع الجسد ويصبح بمثابة آلة مطوعة لخدمة التشريع السياسي لتتحكم فيه وتمثلت هذه الوسائل فيما يلي :

¹ - حيدر ناظم: إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي، ص 114، 115.

² - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 235، 236.

أ-الإنضباط في *السجن: كان الجسد عرضة لقوى متعددة ساهمت في إخضاعه وترويضه تمثلت في سلطة السجن. فلقد حضى السجن في المجتمع العقابي الإنضباطي باهتمام فوكو حيث يقول: «إن ممارسة السلطة لا يمكن أن تقوم، كما رأينا. من غير الاعتماد على ميكانيزمات توجيه ونظم ضبط. ولا شك أن هذه النظم قد تبدو أحيانا شفافة واضحة خلال عمل المؤسسات القيادية والمناهج التربوية وخطط التعليم وسياسات التوجيه والإرشاد».¹ تمحورت دراسة فوكو حول الأنظمة العقابية في ذلك السجن خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فقد حلل فوكو نموذج الجسد المنضبط كنتيجة لتلك الممارسات العقابية آنذاك.

يقول فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة: «لكن السجن يبقى مع ذلك مثال الاعتقال أو الإغلاق الشرعي المحتمي بالمؤسسات القضائية، (...) فهي كانت إبان عهود الحكم المطلق تأتي في أسفل درجات العقاب، لوجود أشكال أخرى من التعذيب ترد على حالات اختراق السيادة المطلقة للحاكم (...) وفي مرحلة ثانية (...) يغدو السجن هو المؤسسة المركزية للعقاب، وفي مرحلة ثالثة (...) يخرج السجن عن حدوده المغلقة، ويروح لمؤسسات أخرى».² هنا ينتقل السجن من مرحلة عقابية يتخللها التعذيب إلى مرحلة انضباطية أكثر شمولية وتوسع.

كما يقول أيضا: «فالسجن لم يكن يستخدم فقط بصفة تعسفية من قبل السلطة السياسية للتخلص من أعدائها، (...) وإنما كان يستخدم كذلك من الناحية القضائية للتحفظ على شخص المدين أو المتهم السياسي حتى يتم التأكد من وضعه، أضف

*السجن: الحبس المصدر سجنه يسجنه أي حبسه.

أنظر: ابن منظور: لسان العرب، (السجن)، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت، ص203.

¹ - أنظر: محمد علي الكردي: المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص 443.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص43.

إلى ذلك، أنه كان يلعب أيضا دورا إصلاحيا بالنسبة للأسر المنكوبة في سلوكيات أحد أفرادها، والتي تستطيع، من ثم، الزج بالشخص غير المرغوب فيه في إحدى زناناته حفاظا على سمعتها وشرفها».¹ من الواضح جدا أن السجن كان راسخا في المجتمعات الغربية تستخدمه السلطة الحاكمة لتستبد وتسطو على الأفراد حسب مصالحها الشخصية.

حيث يقول أيضا: «السجن أقل حداثة مما يقال عندما يجعل منشأة القوانين الجديدة. إن الشكل-السجن- سبق وجوده استخدامه المنهجي بموجب القوانين الجزائية (...) من أجل تفريق الأفراد، وتثبيتهم، وتوزيعهم قضائيا، (...) وتقويم أجسادهم، وتقنين سلوكهم الدائم، (...) وإحاطتهم بجهاز كامل من الرقابة»² أراد فوكو تحليل ودراسة الأنظمة العقابية كظواهر اجتماعية وك ممارسة تعسفية.

وعبر فوكو عن السجن العقابي بقوله: «السجن عقوبة حسب قانوننا المدني (...) وإن كان الأمراء يذهبون من أجل دواعي المصلحة العليا إلى تسليط هذه العقوبة».³ كان الهدف من السجن هو خدمة مصلحة الطبقة الحاكمة وخدمتها وفقا لغرضها الذي يهدف إلى فرض سيطرتها على الأشخاص.

ينظر فوكو إلى السجين على أنه ذلك الجسد المعذب الذي تم تأديبه وإخضاعه من أجل الانضباط، ذلك السجين الذي هو في زنزانه خاضع للمراقبة المستمرة، بغية إصلاح السلوك الفردي، وبعد القرن الثامن عشر ظهر نوع جديد من النظام السجني أطلق عليه نظام بانوبيتيكان panoptican لصاحبه جيرمي بنتام Jeremy Bentham الذي يعطي الحق بالمراقبة غير المرئية لكثرة من الناس

¹ - أنظر: محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص 456.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 235.

³ - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، دار توبقال، المغرب، دط، ص 17.

بواسطة عدد صغير نسبيا.¹ أي أنه مع مطلع القرن التاسع عشر قد تحول السجن من نظامه المرئي الى نظام آخر أكثر شفافية وسرية وهو الذي اقترحه بنتام فالسجنا في هذا النظام يخضعون للمراقبة دون أن يكون لهم علم.

ب- الانضباط في العمل: إن التقنيات التي بلورتها نظم الضبط، قد سيطرت بها على حياة الإنسان وأخضعته لكل ألوان التوضع التي ترتبط بوظائف عمله وتكاثره وحاجاته اليومية التي هو بحاجة للتعبير عنها، لذلك عملت على تنمية قدراته ومفاعيله الممكنة، بهدف زيادة وظيفته الإنتاجية، في المصانع فقد خصصت مفتشين مكلفين بتطبيق الأنظمة الرقابية بكثافة مستمرة ترافق كل عمليات الشغل والإنتاج مثل نمط الأدوات المستعملة وأنواع المنتوجات، لتأخذ بعين الاعتبار نشاطهم وإتقانهم لعملهم وسرعتهم في إتمام الشغل، حتى رغبتهم في العمل وهوايتهم فيه لقد خضعت للرقابة فقسمت العمل على العمال وخصصت لهم مساعدين يساعدهم في تأدية عملهم.² سيطرت السلطة على كل مجالات الحياة حتى في الوظيفة فرضت رقابات لخدمة أغراضها الإنتاجية والتسويقية.

يقول فوكو: « فالمطابقة بين تراكم رأس المال والتراكم السكاني لم تكن ممكنة إلا بممارسة السلطة الحيوية تحت أشكالها وأساليبها المتعددة، لذلك كان من الضروري استثمار الجسد الحي وتثمينه وإدارة قواه توزيعيا». ³ بمعنى أن هدف السلطة كان هو تحقيق الربح المادي لرأس المال بمختلف الطرق كالمعامل التي توزع في المهام للعمال من أجل تحقيق النمو الاقتصادي.

¹ - جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ص238.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص189.

³ - أنظر: عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص56.

إن طريقة فوكو التحليلية من خلال مشروعه النقدي الفكري البارعة في البيئة التطويقية وعلى وجه الخصوص القائمة داخل المصنع. إذ هي تركز على تقسيم المساحة وترتيب الزمن، ومالا حظه فوكو إضافة إلى هذا هو أن النظام في المجتمعات الملكية، أنها تفرض الضرائب على الأفراد فينصاع الأفراد إليها داخل المؤسسات الإنتاجية فهذه هي مجتمعات السيطرة، وهي التي في طريقها لتحل محل مجتمعات الانضباط في الأزمنة القادمة.¹ بين لنا فوكو بأن المجتمع الانضباطي داخل المعامل يمارس سلطة التحكم على العاملين من خلال مراقبة الوقت والإنتاج.

يقول فوكو: « في المانيفاتورة الكبرى: كل شيء يتم بواسطة قرع الجرس، ويتم الضغط على العمال ويوبخون. والرقابة المكلفون يتعودون معهم على إتخاذ هيئة التعالي والأمر، التي هي فعلا ضرورية مع الكثرة، فيعاملون بقسوة أو باحتقار، من هنا قد يحصل أن يكون العمال أكثر تكلفة، أو أنهم لا يمرون في المانيفاتورة إلا مروراً عابراً». ² يتضح لنا من هذا الإقتباس أن العامل في الدول الأوروبية لا يعامل باحترام بل تتم عليه ممارسة الإزدراء واستخدام الألفاظ الغير لائقة معه.

« كان أحد المستجدات الكبيرة في تقنيات السلطة، في القرن الثامن عشر، هو ظهور مشكلة السكان كم مشكلة اقتصادية وسياسية (...) اليد العاملة (...) لا تعمر الدول وفق النمو الطبيعي للتناسل، إنما بحسب صناعاتها ومنتجاتها ومؤسساتها المختلفة». ³ لقد ربط فوكو بين العمل والاقتصاد في أوروبا بحيث ارتبط نمو اليد العاملة بالمؤسسات السلطوية.

¹ - جيل دلوز: هوامش على مجتمعات السيطرة، ترجمة يحيى محمد، 16 يونيو 2015.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص190.

³ - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة، ص45.

يقول ميشيل فوكو: « المصح و*المستشفى والسجن والمشغل = المصنع فيما بعد والثكنة والمدرسة، هي مؤسسات بانويكتية لتمفضل الملفوظي والمرئي معا، لإنتاج الانضباط حصريا بين جدران هذه المؤسسات ¹. كل هذه المؤسسات الانضباطية هدفها هو السيطرة على الأفراد وجعلهم وسيلة للعمل والإنتاج.

ج-الانضباط في المستشفى: إن فترة القرن الثامن عشر أصبح جسم الإنسان يخضع أكثر فأكثر لشبكة من التطبيب والاستشفاء، وذلك بفعل التطور العلمي في مجال الطب والمؤسسات الطبية، كما تم إدخال مسألة الصحة ضمن النظام الاقتصادي، لذلك يرى فوكو أن المجتمعات الرأس مالية تهتم أكثر بالسياسة الحيوية قبل كل بيولوجيا جسمية، فالجسد في نظر الرأس مالية حقيقة سياسية حيوية، وكذلك الطب إستراتيجية سياسية حيوية.² نتيجة للتطور العلمي الحاصل في القرن الثامن عشر في مجال العلوم الطبية تم السيطرة على الحياة الصحية للأفراد.

فإنشاء تلك المستشفيات المتنوعة التي كانت بمثابة عزل لتلك الفئات المهمشة اجتماعيا وإبعادهم عن عائلاتهم، وهذا في نظر فوكو ليس أكثر من وسيلة للتخلص من الأشخاص الغير مرغوب فيهم داخل الحقل الاجتماعي. حيث أنه أمسى هذا الوضع إلى المساواة بين تلك الأشخاص وأصبح مثلهم مثل الناس البطالين العاطلين عن العمل. وكذلك المجرمين داخل السجن.³ كل هؤلاء أصبحوا في مرتبة واحدة مع

*المستشفى: هو مكان لعلاج المرضى وتأهيلهم. وقد كان يسمى في العصور الإسلامية الأولى البيمارستان. ويكون مجهزا بعيادات للأطباء وغرف للعمليات وغرف للانغماس وغرف للمرضى عامة وخاصة. كما في بعضها عيادات خارجية لاستقبال المرضى غير المقيمين. وفيها المختبرات وأقسام الأشعة وأقسام الطوارئ. أنظر: ويكيبيديا (المستشفى).

¹ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 42.

² - الزواوي بغورة: مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص 115.

³ - جيجيكة إبراهيمي: حريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، ص 35، 36.

المجنون خاضعين لسلطة السيطرة داخل تلك المؤسسات الإستشفائية التي تفرض عليهم العقاب.

غني عن هذا التوضيح إذن أن ظهور السلطة الحيوية لمراقبة الأجساد والمحافظة على وجودها، كان بدافعين اثنين، أما الأول فهو سبب إقتصادي، كانت تسعى من وراءه الدولة إلى مطابقة الظواهر السكانية مع السيرورات الإقتصادية، كما أنها استحضرت دائما حجم المشاكل الاقتصادية والسياسية التي يطرحها الفرد على الجماعات السياسية والإجتماعية التي ينتمي إليها في حالة المرض، فالأمر هنا لا يرتبط بكلفة العلاج فقط، وإنما بالعجز على الإنتاج المزدوج الذي يتحدث عنه فوكو، لا ينعكس سلبا على الدولة التي تصبح ملزمة بتوفير العلاج ومكان العلاج أي المستشفيات ووسيلة العلاج بما في ذلك الطبيب والأدوية، بل أنه ينعكس كذلك على الأسرة، إذ بدل الإتجاه إلى مساعدة الأسرة التي تعيش في حالة بؤس وفقر، سيمسي المريض هو الشخص الوحيد المستفيد من هذه الإعانة من خلال مجانية العلاج والتزاميته.¹ بمعنى أن هدف الرقابة الانضباطية للدولة كان سعيها هو فتح المشاكل الإقتصادية والسياسية من أجل بسط يدها على حياة الناس وذلك بتوفير العلاج لهم.

يقول فوكو: «أمكنة المؤسسات العامة من المستشفى إلى المدرسة إلى السجن، إلى الدوائر الحكومية، إلى ثكنات البوليس والجيش، (...) إنها مشغولة بالملفوظي والمرئي معا. وهي كلها مراكز تدريب وتأهيل وتنميط (...) فالهندسة ليس علما رياضيا خالصا ولا فنا مجردا، ولكنها هي هذه المعارف والإبداعات موظفة في خدمة مفاهيم الانضباط».² يعتبر فوكو أن السلطة باتت تعمل على استثمار الجسد

¹ - ميشيل فوكو: المدخل السياسي للصحة السيقا التاريخي لتشكل المؤسسات والممارسات الطبية، 19 أغسطس 2016.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 36.

وإخضاعه وذلك بهدف إنتاج علاقات التفاوت والسيطرة. وقد اقترن تحليل فوكو هذا بالحفر داخل أجهزة السلطة المؤسسية.

المبحث الثالث: السلطة وعلاقتها بالذات و* الحقيقة

لقد عني فوكو بكثير من الموضوعات منها مشكلة الحقيقة ومشكلة السلطة وكذا مشكلة السلوك الفردي، فكان شغله الشاغل هو البحث في جوهر الذات، فانطلق في بحثه هذا من العصر اليوناني والروماني ثم اللحظة الديكارتية لينتهي بذلك البحث إلى الفترة المعاصرة مع "نيتشه".

فلقد أعطى فوكو أهمية محورية للذات ومنحها برنامجا تعلق فيه الأمر بدراسة تاريخ الذاتية. تمثل سعيه في الكشف عن تاريخ العلاقات التي تجمع بين الفكر والحقيقة، تاريخ الفكر بوصفه فكر يتعلق بالحقيقة، حيث أن فوكو يرى بأن مسألة الاهتمام بالذات كانت قد بدأت عند اليونان فهم أعطوا إهتمام بالغ بالنفس الإنسانية وبحثوا في كيفية ضبطها باعتبار أن هته الأخيرة هي بمثابة عضو داخل الجماعة لذا وجب العناية بها.¹ تمحور بحث فوكو حول الذات الفردية فقد أعطاها عناية خاصة وحاول تحليلها من أجل فهم السلوك الإنساني.

¹ - مجموعة من الكتاب: مسيرات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، ط1، 2004، ص22-26.
* الحقيقة: بوجه عام مطابقة الفكر للواقع أو كما يقول المتكلمون مطابقة ما بالأذهان للأعيان، وليس اليسير إثبات هذه المطابقة. ومن هنا كانت الحقيقة نسبية تختلف باختلاف الظروف والأذهان.

أنظر: إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (الحقيقة)، ص74.

ويعتبر إنطلاق فوكو كما ذكرنا سابقا في دراسته للذات بدءا من الفيلسوف اليوناني "سقراط" إلى "أفلاطون" تليه العصور الوسطى مع "أوغسطين"، ثم العصر الحديث مع "ديكارت" و "هيغل" لنصل إلى اللحظة المعاصرة مع "نيتشه":

أ- **الحقيقة عند سقراط:** تعتبر المقولة السقراطية "أعرف نفسيك بنفسك" المبدأ الأساسي الذي يربط بين الذات والحقيقة أشد الارتباط، فسقراط اعتبر نفسه داعية يدعو الناس إلى الاهتمام بذواتهم لإنتاج الحقيقة. فقد أمضى سقراط حياته باحثا عن الحقيقة ودعوته هذه وأسرارها الكاملة عن طريق التنقيب والبحث المستمر، ليروض نفسه عن طريق عمل الخير والبعد عن كل ما هو شر وترك كل ما هو مذموم وسيئ مثل الكذب، كما أن الإهتمام بالذات أساس كل ممارسة عقلانية، هذه الممارسة التي نغنيها ليست حالة من الوعي يقوم بها الإنسان أو الفرد إتجاه نفسه، بل هي عبارة عن إهتمام ممنهج وفعل له أساليبه الخاصة وغاياته، هذا الإهتمام هو مغزى إيجابي نحو الذات ونحو الآخر وغير منفصل عن القيم الإنسانية مثل فكرة الحرية والمسؤولية.¹ فقد كانت دعوة سقراط للبحث عن الحقيقة الداخلية للإنسان عن معرفة ذاته وأهدافه.

ب- **الحقيقة عند أفلاطون:** يعتبر أفلاطون من أهم الفلاسفة اليونانيين الذين إهتموا بمشكلة الحقيقة وربطها ربطا كليا بالنفوس، على حساب الجسد الذي إحتقره ودنسه وأبعده من دائرة الأشياء التي توصلنا إلى الحقيقة. ومن هنا يمكننا إستحضار أسطوره الأفلاطونية المشهورة، التي اعتبرها بمثابة النهج الوحيد الذي يقرر لنا حقيقة ما يقع تحت ناظرنا، حيث أنه صور لنا النفس بأنها جوهر كلي وشبهها بعربة ذات جوادين وسائق، هذين الجوادين جواد يكبح نحو العالم السفلي، الذي هو عالم

¹ - محمد زويطة: الإنهمام بالذات جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2015، ص 11-13.

الشهوات والأخطاء، أما الجواد الثاني فيكبح نحو العالم العلوي، الذي هو عالم الخير والحقيقة، ويعلل أفلاطون هبوط النفس إلى العالم السفلي بتكرها لماهيتها الأصلية، بعدما كانت هذه النفس تقيم في العلوي وعندما أصيبت بذلك الارتباط بفعل التضاد الذي جرها فما لبثت إلا أن هبطت من عالمها الحقيقي، إلى العالم الزائف وبمجرد هذا الهبوط نسيت النفس ماهيتها الحقيقية وكل ما كانت تعرفه، من خير وحقيقة وفضائل، فارتبطت بالجسد وانغمست في عالم الماديات والشرور والغرائز، معناه أن النفس سقطت من عالم أسمى إلى عالم أدنى، هو عالم الجسد ومن هنا فإن هذا الجسد هو المعرقل الذي يحول دون الوصول إلى الحقيقة.¹ أي أن الحقيقة المطلقة على حسب تعبير أفلاطون هي مرتبطة بالنفس (الروح) وهي موجودة في العالم المثالي هذا العالم يخص العقل وحده ويذم الجسد.

نخلص من كل ما عرضناه حول الحقيقة وارتباطها بالذات عند اليونان أن هؤلاء قد اهتموا بالنفس في تكوين المعارف والحقائق دون الجسد، وما يجب القيام به هو ضبط تلك الانفعالات الجسدية وربطها بعقل العقل.²

ج- الحقيقة عند القديس أوغسطين: إن القديس أوغسطين من أبرز فلاسفة العصور الوسطى الذين عنيوا بموضوع الحقيقة وقد ناقش هذا الموضوع برؤية دينية تنتمي هذه الرؤية إلى الفلسفة المسيحية، فقد إعتبر أن الحقيقة المطلقة إنما هي مرتبطة بالإدراك العقلي الإنساني المبني على أساس إيماني عقدي، أي أن هناك مصدر آخر خارج عن الذات الإنسانية وهي لن تكون إلا بواسطة الكتاب المقدس، بمعنى الإيمان بهذا الكتاب وقد كانت عبارته الشهيرة: «آمن كي تتعقل وتعقل لكي

¹ - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، دار التنوير، د.ب، ط.2009، ص 26.25.

² - نفسه، ص 26.

تؤمن «. بمعنى أن الإيمان ضروري للعقل، كما أن العقل ضروري للإيمان، فالعقل وحده غير قادر على البرهنة على بعض الحقائق وهذه الحقائق لنبرهن عليها يجب علينا أن نسلم باعتقادنا لها، فالإيمان بالله أمر ضروري لكي نصل إلى معرفة الحقائق والأشياء الأخرى هذا الإيمان هو من يخلص العقل الإنساني من بعض التساؤلات وهو من سيوجه الذات الإنسانية إلى حياة هنيئة وبغيا به تصبح النفس الإنسانية خاوية من الحقيقة.¹ بمعنى أن أوغسطين إهتم بالنفس بجانبها الإيماني لتعرف نفسها وتعقل من حولها واكتساب الحقيقة حسبه تكون بواسطة إشراق إلهي يشرق على العقل ليدرك الحقيقة.

د- الحقيقة عند رونييه ديكارت: لقد إنطلق ديكارت في بحثه عن الحقيقة والطرق التي توصل العقل وتوجهه نحوها ليدركها إنطلاقاً من مبدأ الشك، حيث أنه جزم باستحالة الوصول إلى الحقيقة عن طريق الحواس واعتبرها مصدر خداع، وأنه يجب أن لا نثق فيها حيث يقول: «ومن الجزم ألا نثق البتة تمام الثقة في الذين خدعونا مرة واحدة». وهنا يقصد بكلامه أنه ليس من الحكمة والصواب أن نثق ثقة مطلقة في الحواس لأنها مصدر زيف، وقد صور لنا أننا في بعض الأحيان أثناء نومنا نرى أشياء تظهر لنا في يقضتنا بأنها حقيقة ونراها أيضاً في نومنا هو هنا يشك ويقول ما الضامن الذي يضمن لي بأن تلك الأفكار التي نراها في نومنا على أنها خيال وأغاليط ووهم ولا صحة لها.² تعتبر نقطة البداية لشروع ديكارت في البحث عن الحقيقة هو أنه أراد تجاوز كل ما هو حسي واعتبر أن الحقيقة من إنشاء العقل نفسه.

¹ - محمد عقييل بن علي المهدي: الأخلاق عند الفلاسفة في اليونان والقرون الوسطى، دار الحديث، ماليزيا، ط1، 1997، ص61.

² - رينييه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط2، 1968، ص71، 72.

من خلال هذا الشك الديكارتي يبرهن لنا ديكارت على مبدأ يقيني اعتبر فيه أن الشيطان اللعين هو من يوسوس له، ولكنه مهما وسوس له إلا أنه لا يستطيع ولن يتمكن من أن يحجب له تلك الحقيقة «أنا أفكر إذن موجود». هذه المقولة يقابلها حسب ديكارت «أنا أشك إذن أنا موجود»، بمعنى كوني أمارس ذلك الفعل المتمثل في فعل الشك، فلا ريب أنني موجود. وهذه الحقيقة يقينية وثابتة. ومن هنا يمكن القول أن ديكارت قد وصل إلى إدراك الحقيقة بواسطة التفكير العقلي الذي لا نقاش فيه ومن هنا اعتبر أن المصدر الوحيد الذي يوصلنا إلى اليقين هو فعل التفكير الذهني المقترن بالذات العاقلة التي تمارس فعل إعمال العقل. فالحقيقة عند ديكارت هي من إنشاء العقل نفسه، وهي كل ما ينتهي إليها الشك ببرهان عقلي خالص، وأن خاصية التفكير هذه هي حقيقة الوجود الإنساني.¹

ولكي يصل العقل إلى تلك الحقيقة والمعرفة اليقينية وجب عليه أن يتبع أربع قواعد رئيسية فهي وحدها من توجهه لبلوغ اليقين:

1- **قاعدة البداية:** لقد أكد ديكارت على هذه القاعدة واعتبرها بمثابة مقدمة جوهرية للوصول إلى الحقيقة بحيث يجب أن تكون الأفكار التي نسلم بصحتها واضحة ومتميزة في حد ذاتها فقد أعلن ديكارت على أنه لا يقبل شيء على أنه حق ما لم يتمثل لعقله بوضوح على أنه كذلك. ويقصد ديكارت بكلمة الوضوح أي أنه يجب أن تكون تلك التصورات والأفكار واضحة وجليّة أمام العقل.² فديكارت لا يقبل تلك الأفكار الغامضة الملتبسة.

¹ - رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، ص 73.

² - ديف رونبسون، كريس جارات: أقدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2001، ص 28.

2- قاعدة التحليل: تتمثل هذه القاعدة في تقسيم المشكلة المراد تقسيمها بقدر ما يسعنا التقسيم حيث يقول: «أن أقسم كل مشكلة تصادفني ما وسعني التقسيم وما لزم لحلها على خير وجه». بمعنى أنه يشرع في تفكيك كل مشكلة تعترض تفكيرنا، فنبدأ من المعقد إلى البسيط لنحل المعضلة.

3- قاعدة التركيب: يقول في هذا الصدد: «أن أسير بأفكاري بنظام، فأبدأ بأبسط الموضوعات وأسهلها معرفة، وأرتقي بالتدريج إلى معرفة أكثر الموضوعات تركيباً، فافرض النظام حتى بين الموضوعات التي لا تتألى بالطبع». بمعنى أنه نرجع لنركب تلك الأفكار التي سبق لنا تبسيطها فنركبها بادئين من أبسط الأمور وأيسرها إلى تلك المعارف التي هي أكثر تعقيداً وصعوبة. وعلى هذا الأساس لا يكون الحقيقي إلا ما هو واضح وبديهي ومتميز، وهذا البديهي لا يكون إلا من خلال تحليله من السهل إلى الصعب ثم إلى التركيب بين هته الأفكار المتميزة.

4- قاعدة الإحصاء: أو المراجعة، هنا وجب علينا مراجعة كل ما سبق أن حللناه ورتبناه وركبناه وفي هذا يقول: «أن أقوم في كل مسألة بإحصاءات شاملة، سواء في الفحص على الحدود الوسطى أو في استعراض عناصر المسألة، بحيث أتأكد من أنني لم أغفل شيئاً». يقصد هنا بهذا أننا نقوم بعملية تحقق عامة وشاملة لتأكد من صحة أفكارنا، بهدف الوصول إلى بناء حقيقة يقينية وثابتة التي نود معرفتها.¹ في هذه القاعدة يقر ديكارت بتعدد كل تلك العناصر البسيطة التي تتركب منها القضية دون إهمال شيء.

هـ- الحقيقة عند هيغل: لقد غاص هيغل في الكشف عن الحقيقة ومصدرها، فاعتبر أن الحقيقة المطلقة إنما هي مرتبطة بالروح، ويمكن أن تسمى كذلك بمقولة العقل أو

¹ - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 64، 65.

الفكر، فالروح حسبه هي المركب في ذلك المثلث الذي هو عبارة عن وحدة. الفكر والطبيعة، فالإنسان من ناحية أنه جزء متكامل من الطبيعة، فهو بذلك حيوان ووجود مادي خارجي يخضع لسيطرة القوانين الطبيعية وهو من ناحية ثانية وجود روحي عاقل وفكر خالد، وتقع فلسفة الروح حسب هيجل في ثلاث دوائر رئيسية تشكل مثلث على النحو التالي:

الدائرة الأولى: تعتبر هذه الدائرة أن العقل الإنساني إنما هو عبارة عن ذات فردية هذا العقل مقسم إلى فروع يمثل مراحل متعاقبة من الوعي الفردي مثل: الإدراك الحسي، الشهوة، الفهم، الذاكرة، الخيال.

الدائرة الثانية: في هذه المرحلة تبدأ الروح بالخروج من ذاتها إلى الآخر، أطلق عليها باسم الروح الموضوعي. بمعنى أن الذات هنا تخرج من ذاتها لتقابل العالم الخارجي وهي بذلك تخلق عالما موضوعيا خارجيا، لكن هذا العالم ليس عالم المادة وإنما هو عالم الروح. إن هذا العالم هو عالم التنظيمات والمؤسسات الروحية. أي تنظيمات القانون مثل: الأخلاق، الدولة. هذه المؤسسات خارجة عن الذات الفردية بصفة خاصة وجزئية، بمعنى أنها خارجة عن الميول والرغبات الشخصية، وإنما هي متمثلة في تلك الحياة العقلية للمجتمع.

الدائرة الثالثة: هذه الدائرة أطلق عليها اسم الروح المطلق. وهي تمثل الروح الإنسانية في مجالات عدة مثل: الفن، الدين، الفلسفة، بمعنى أنه أصبح للحياة طابع جمالي وفلسفي وديني.¹

¹ - ميشيل ميتياس: هيجل والديمقراطية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، دط، 1996، ص233، 234.

والروح المطلق عنده هي ذلك الإتحاد بين الروح الذاتي والروح الموضوعي. فتصبح الروح بهذا الإتحاد حرة حرية مطلقة فتدرك هذه الروح أن الفلسفة هي آخر مراحلها وهي الحقيقة الواقعية كلها.¹ يظهر هنا أن هيكل خلال بحثه الفلسفي قد شمل كل تجارب الإنسان وكذا خبراته ودمج كل معارفه من دين وفن وسياسة، وجمع بين كل هذه الخبرات في نظام فلسفي واحد أطلق عليه اسم العقل المطلق.

أما الحقيقة الدينية عنده فهي موجودة في الدين المسيحي، لأن هذا الدين من وجهة نظره يعطي الحرية المطلقة للإنسان كون أن حقيقة الدين تستلزم شهادة الروح على الإطلاق، وهذا هو الحال في الدين المسيحي. فالمسيح لا يعتبر الحقيقة آتية من الخارج بل إن الروح المطلق هو الذي يقوم بتقييمها، لأن شهادة الروح المطلق هي الأساس الحقيقي، وهذه الفكرة موجودة فقط في الدين المسيحي الذي يعطي المجال الواسع للإنسان في أن يخاطب وعيه أي عقله، بحيث يصل في النهاية إلى إقتناعه الذاتي والداخلي بتبني الفكرة. بمعنى أن الإيمان هنا بالحقيقة يكون من خلال إقتناع شخصية الإنسان، ومن خلال هذا يمكننا القول أنه لا وجود لأي سلطان يفرض عليك تلك الحقيقة لأنه من فعل وعينا الداخلي الذاتي. أي استندنا على وعينا الشعوري.² اعتبر هيكل أن الحقيقة مكونة من ثقافة إنسانية بما يشمل ذلك تاريخ الإنسان وتجاربه الروحية أضف إلى ذلك أنه خص الجانب الشخصي الوجداني للإنسان واعتبره الموصل إلى الحقيقة الإلهية.

¹ - ميشيل ميتياس: هيكل والديمقراطية، ص434، 435.

² - هيكل: محاضرات في تاريخ الفلسفة مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص169، 170.

و- الحقيقة عند نيتشه: إن بحث نيتشه كان منصبا على تاريخ الأخلاق وهذا راجع إلى كونه مفكر أخلاقي قبل أن يكون فيلسوفا، فنيتشه أراد الغوص والكشف عن مصدر وأصل القيم الأخلاقية، وكيفية نضجها وتطورها عبر التاريخ الإنساني فهو من الذين ربطوا تطور هذه القيم بأصحابها، وكانت غايته من هذا البحث هي الكشف عن حقيقة ومصدر هذه القيم المنتشرة بين الأفراد، فدراسته هذه إن صح التعبير خصصها على الفرد الأوربي واعتبر أن الانحلال الأوربي في مجال الحياة الأخلاقية آنذاك هو سبب معاناة البشرية جمعاء، من سيطرة قيم العبيد الأخلاقية وأصبحت بمثابة تشريع أخلاقي، لهذا السبب تلاشت واضمحت قيم الطبقة الأرستوقراطية النبيلة، فبدل قيم القوة كانت سائدة قيم الضعف المبنية على أساس الفضيلة، وعلى حسب وجهة نظر نيتشه أن القيم الأخلاقية ليس مصدرها أوامر الله ونواهيه كما اعتبرت الديانة المسيحية، وليس منبعها العقل الإنساني، وإنما مصدر القيم الأخلاقية هي التجربة الحياتية، بمعنى أن الإنسان من خلال ما يعيشه وما يقع تحت تجربته يستطيع إصدار تشريع أخلاقي يسير وفقه خلال مرحلة حياته، أي أن هذه الأخلاق تكون نابعة من الغريزة، فالذات الإنسانية بطبيعتها تحب التملك والسيطرة، أي أن هذه الذات تحكمها إرادة القوة والغلبة، هذه الأخيرة التي يدعو إليها نيتشه هي في حقيقتها عبارة عن أحوال نفسية على شكل رموز ثم بعد ذلك تتحول لتصبح عبارة عن وظائف جسمية تطبيقية، أي وبتعبير آخر هي أحوال الجسم الفسيولوجية. والتي يقابلها عند نيتشه كلمة الواقع أو الحقيقة الواقعية أي أن الأخلاق عند نيتشه هي أخلاق طبيعية تتفق في جوهرها الفعلي للذات البشرية.¹ تناول نيتشه مسألة الحقيقة من زاوية جديدة، مبنية في أساسها على التطابق بين الحقيقة وإرادة القوة.

¹ - عبد الرحمن بدوي: خلاصة الفكر الأوربي نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975، ص193.

يقول نيتشه: « ذلك لأن جوهر الحقيقة الفعلية هو الحياة الواقعية التي نحياها، وهذه الأخلاق تجعل الحياة تابعة لشيء آخر عنها، ووسيلة لغاية أخرى غيرها. والمثل العليا التي تدعونا هذه الأخلاق إلى تحقيقها أو السعي وراءها ترمي إلى إفقار الحياة الحقيقية، والإنحطاط بها إلى أدنى مستوى للحيوية ممكن، بينما يجب عليها خصبة مليئة ¹. » هنا يؤكد نيتشه على أن الحقيقة مرتبطة أشد الارتباط بالواقع العيني لحياتنا وما عداه ذلك يكون وهم وضرب من الخيال.

كما يقول أيضا: « إن الذي يمكن تصوره عقليا، لا بد أن يكون وهما لا حقيقة له ². » بمعنى أن نيتشه يرفض أن ترتبط الحقيقة بالجانب العقلي الروحي للذات وإنما الحقيقة نابعة من الجسد وانفعالاته الشهوانية.

ويؤكد نيتشه أن الإنسان لا يمكنه أن يصل إلى الحقيقة إلا من خلال ما تطلبه غريزته وشخصيته الذاتية، فالمسيحي مثلا يبحث عن الحقيقة في الله، لأنه يرى بأن الإله المنبع الوحيد لكل الحقائق، أما العقل الحديث فيرى بأن الله ما هو إلا مخلوق بشري، فهو يرجع الحقيقة إلى وجودها في ذاتها دون أي مساعدة بشرية، أما العقل الحر فإنه يذهب إلى أبعد مدى في بحثه عن الحقيقة. فهو يسأل ويستفسر عن معنى الإرادة بالنسبة إلى الحقيقة ويطرح السؤال التالي: لم الحقيقة؟. إذن الحقيقة نشأت من خلال تأمل الإنسان العميق حول الظواهر الموجودة في العالم. ومن ثمة تتكون أفكاره حول الأشياء. فالإنسان إذن ذاته هي من تبتدع الحقيقة وتلك الذات هي الذات الحرة أو العقل الحر ولكي يصل الفرد إلى الحقيقة حسب نيتشه لا بد له من أن

¹ - عبد الرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، ص 177.

² - عبد العزيز جادو: أضواء على فلسفة نيتشه، البيان الكويتية، العدد 147، 1 يونيو 1978، ص 56.

فالإنسان إذن ذاته هي من تبذع الحقيقة وتلك الذات هي الذات الحرة أو العقل الحر ولكي يصل الفرد إلى الحقيقة حسب نيتشه لابد له من أن يدخل وجدانه الحر للبحث عنها باعتبارها أنها إحدى إبداعاته.¹ إن قيمة الحقيقة حسب نيتشه يجب أن تكون مبنية على الغرائز، وليس على العقل.

على ضوء هذا التحليل الفوكوي لدراسة الحقيقة وربطها بالذات عند الفلاسفة اليونان، الذين أبدوا اهتمامهم بالذات أي تثقيف الذات، من خلال توجيهها للتعرف على نفسها لتحيا حياة فضلى هاجسها ورهانها هو الحرية بالمعنى الإيجابي والسياسي، فمن خلال تعرف الذات على ذاتها واهتمامها بنفسها لإدراك تلك الحقائق الكامنة فيها، يمكنها توجيه ذاتها، ومن هنا تقود نفسها بنفسها لتصل في النهاية بهذا الإهتمام إلى إهتمامها بالمدينة السياسية لكي تفرض سيطرتها على الأحداث، فالإنسان القادر على أن يقود نفسه بنفسه كذلك هو له المقدرة بأن يسوس غيره، فالتعرف على الذات تجعلها قادرة على أن تضيئ تلك الصورة الجمالية للحياة والوجود ولن يكون ذلك إلا من خلال إهتمامها بعلاقاتها مع ذاتها، فالفكر اليوناني حسب فوكو إنما هو بمثابة معجزة تاريخية استطاعت أن تعطي عناية بالذات لتتوصل هذه الأخيرة إلى العناية بجمالية الوجود.² فهدف فوكو من هذه الدراسة للتاريخ اليوناني أراد أن يرشد الفكر الأوربي للإقتداء بهذه الحضارة لتصل إلى إستيطيقية الوجود الذي طالما سعى فوكو لها.

أما الرؤية الفوكوية للفكر الديكارتي حسبه، فقد إعتبر أن ديكارت له كامل الفضل في الفترة الحديثة من خلال ما قدمه من ذلك التطابق بين الإنسان كذات

¹ - رودولف تشاينر: نيتشه مكافحا ضد عصره، ترجمة حسن صقر، دار الكلمة، دمشق، سوريا، ط1، ص90، 89.

² - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص105.

وبين وعيه، تلك الذات المفكرة التي لها القدرة على إنتاج الأفكار والحقائق، هذا الموقف الديكارتي الذي يربط بين الفكر والوجود، وبالتالي فلسفه ديكارت في نظره قد قدمت وأسهمت بشكل أو بآخر في البحث عن الإنسان كذات مفكرة قادرة على معرفة نفسها وعلى معرفة العالم.¹ يعتبر ديكارت أول فيلسوف اهتم بالعقل الإنساني في الفترة الحديثة وأعطى عناية بالإنسان كذات مفكرة.

فديكارت هو من خلص الفكر الإنساني من سلطة الكنيسة، باعتبار أنه انشغل بالذات الفردية، وأعطى لها مرجعية التأمل العقلي الذي يعطي المجال الحيوي لتفلسف الذات، هذا التفلسف الذي أطلق عليه اسم "الكوجيتو" جوهره هو أن الذات هي من تستطيع إخراج الحقيقة، حين تدرك ذاتها بذاتها وهي وحدها من بإمكانها المقدرة على إدراك الموضوعات الخارجية بوعيه الروحي، ومن هنا تصبح قادرة على أن تنشأ لنفسها تقنيات أخلاقية نابعة من فرديتها.² يعتبر سعي ديكارت أنه أخرج العقل من دائرة السلطة الدينية وأعطى للذات الأولوية في التعرف على نفسها وما يدور حولها.

الحقيقة عند فوكو وعلاقتها بالسلطة: أما الحقيقة عند فوكو فقد ربطها بالسلطة، حيث يقول في حوار مع "فونتانا": «أن الحقيقة ليست خارج السلطة، ولا مجردة من السلطة(...) الحقيقة من هذا العالم وتنتج فيه بفضل إلزامات عدة، وتحفظ منه بشكل منتظم الأفاعيل سلطوية، لكل مجتمع نظام حقيقة خاص به سياسته العامة للحقيقة(...) نفهم بالحقيقة مجموعة من الإجراءات المنظمةة لإنتاج وتشريع وتوزيع

¹ - عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992، ص162.

² - محسن صخري: فوكو قارئاً لديكارت، مركز الإنماء القومي، حلب، ط1، 1997، ص37، 38.

وترويج وعمل الملفوظات».¹ يقصد فوكو بكلامه هذا أن الحقيقة مرتبطة أشد الارتباط بالسلطة ويكون إنتاجها من خلال الخطابات اللغوية لمجتمع معين.

وتكمن الرؤية الفوكوية لتحديد العلاقة بين السلطة والحقيقة أن فوكو اعتبر أنه لا يمكننا أن نتحدث عن الحقيقة إلا في علاقتها بالسلطة وبالذات، فالحداثة في نظره قد أخضعت الفرد تحت الرقابة الصارمة، لكي تتحكم فيه سواء من الجانب الاجتماعي أو الإقتصادي أو السياسي، فهي قد ركزت على الجسد لتدرس كل مميزاته، فدراسة فوكو للعلاقة بين السلطة والحقيقة، أن فوكو وضع تركيزه على الجانب الغريزي من شهوات ورغبات جسدية، هذه الرغبات حسب فوكو هي مصدر الحقيقة حيث أن الذات تعبر عن مطالبها بقول صادق وصريح نابع من داخلها. هذه الرغبات التي كانت مكبوتة داخل النفس بسبب ذلك العنف الذي كان مسلطا عليها من طرف السلطة. فقد كانت هذه السلطة خاصة في المجتمع المسيحي، منشغلة طوال الوقت بتسليط الرقابة على هذه الرغبات سواء فردية أم جماعية، وفق منهج الإعتراف، لذا وجب حسب فوكو أن تفتح هذه الآلية الباب الواسع للذات بأن تنتج خطابها وفق مطالبها ورغباتها وأن تفصح عن كل حقيقة في ذاتها، باعتبار أن هذه الأخيرة أمست حاجة ضرورية، لهذا وجب على كل فرد من الأفراد أن يلبي مطالبه ليكون ضمن ما هو حقيقي.² لقد ربط فوكو ربطا كليا بين السلطة وإنتاج الحقيقة خاصة السلطة الكنسية التي كانت تضع الذوات تحت الرقابة الإفصاحية لتقول الذات عن كل الحقائق الموجودة داخلها.

ويؤكد فوكو على العلاقة بين السلطة والحقيقة من خلال قوله: «إن ليست السلطة سلبية بإطلاق، وليست الحقيقة إيجابية بإطلاق، وليست العلاقة بينهما علاقة

¹ - أنظر: عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص34.

² - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص114، 115.

انتفاء وعداء، وإذا كان من الوهم إفتراض حقيقة خارج علائق السلطة، فمن الوهم كذلك افتراض حقيقة لا سلطة لها». ¹ يتبين لي أن فوكو لا يفصل بين كل ما هو حقيقي وكل ما هو سلطوي فالحقيقة دائما تكون نابعة من سلطة الذات.

يقول فوكو: «إن الجلد القضائي في القرن الثامن عشر يستمد وظيفته من هذه الإقتصاديات الغربية، حيث الطقس الذي ينتج الحقيقة مرتبط بالطقس الذي يفرض العقوبة، فالجسد الذي يتم مساءلته أثناء التعذيب، هو في الوقت نفسه موقع إجراء العقوبة وموطن إعلان الحقيقة (...) فمن خلال التعذيب العلني تصبح الحقيقة ماثلة أمام العموم، يقرأها الجميع». ² فمن خلال هذا القول لفوكو فالحقيقة مرتبطة أشد الارتباط بالسلطة بحيث أن السلطة كانت تمارس تقنية التعذيب على الفرد لكي يفصح عن الحقيقة.

الذات وعلاقتها بالحقيقة: لقد تميزت أبحاث فوكو الفلسفية حول مسألة الذات، هذه الفكرة قد مثلت هاجسا بالنسبة له، فقد انصب إهتمامه على تلك الذات الانسانية المهشمة والمقهورة والمنبوذة داخل الحقل الإجتماعي، من مرضى ومجانين ومجرمين وكذلك الذين يعانون من حالة شواذ جنسي، هؤلاء الأفراد لم تكن لهم أي صيحة مسموعة داخل المجتمع الذي يعيشون فيه، حتى أنهم أخرجوا من دائرة الإنسانية واعتبروا مثلهم مثل الحيوانات إن صح التعبير، أي صنفوا في دائرة اللامعقول، واعتبارا لهذا قد شكلت مسألة الإنهمام بالذات محور تفكير فوكو في العديد من كتاباته، بدءا من كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" إلى غاية آخر كتاباته "تاريخ الجنسية". وقد كان هدف فوكو من هذه المؤلفات هو تحرير تلك الذات الفردية البشرية باعتبار أنها ذات ترغب وتحب وتشعر وتعبر عن تلك الحقائق

¹ - أنظر: عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص35.

² - أنظر: حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص115.

الموجودة داخلها لتفصح عنها وتخرجها للواقع العيني ذلك الواقع الذي لا علاقة له بأي نزعة متعالية، من كافة أشكال التسلط والقهر والقمع الممارس عليها، لتخرج هذه الذات في نهاية المطاف لتصنع ذاتها وتصنع الأحداث لتدخل مجرى التاريخ.¹ أراد فوكو أن يحقق الخلاص للفرد المقموع وأن يوجه الأنظار نحوه ليتعرف على خطاباته التي كانت غير مسموعة داخل المجتمع.

يقول فوكو: « فإذا وضعنا أنفسنا في مستوى قضية مصوغة ضمن خطاب ما، فإن الفصل بين ما هو حقيقي وما هو خاطئ ليس فصلا إعتباطيا، ولا قابل للتعديل، ولا مؤسسيا، ولا عنيفا، لكن إذا وضعنا أنفسنا في مستوى آخر، وإذا طرحنا السؤال بقصد معرفة ماذا كانت وما هي باستمرار إرادة الحقيقة عبر خطاباتها، هذه الإرادة التي عبرت قرونا من تاريخنا، (...) فربما كانت بمثابة نسق للأبعاد نسق تاريخي، قابل للتعديل، ويمارس إكراها مؤسسيا نراه يرتسم أمامنا». ² يقصد فوكو بقوله هذا أنه كان يمارس على الذات نوعا من القمع بواسطة مؤسسات وأجهزة منذ زمن بعيد، وما يجب القيام به هو تحرير هذه الذات من تلك السلطات لكي تنتج خطاباتها وتعبّر عن الحقائق الموجودة داخل النفس.

كما يقول أيضا: « وإذا كنت قد أرجأت الحديث عن الذات، فإن ذلك لم يكن بهدف الكشف عن أنماط تتصارع لها جميع الذوات في عصر معين، بل لقد بينت العكس تماما كيف يمكن للبشر أن تتعارض آرائهم داخل نفس الحقبة المنطوقية، كما بينت أن الممارسات المقالة تتميز عن بعضها بعضا، وباختصار، لم يكن هدفي أن أستبعد أشكال الذات بقدر ما كنت أهدف إلى تعريف الأوضاع والوظائف التي يمكن

¹ - خديجة زيتلي: الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكاليات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص67.

² - ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة، محمد سبيلا، التنوير، ط1، ص7.

أن تحتلها الذات في خصم أشكال المقال».¹ يظهر لنا من خلال هذا القول أن فوكو لم يكن يهدف بتحليله هذا إلى وصف أوضاع كانت سائدة في حقبة تاريخية ما حول تشكل الذوات، وإنما كان يهدف إلى الكشف عن طرق إنتاج الخطابات التي تنتجها الذوات.

فالذات الإنسانية حسب فوكو لكي تتخلص من تلك السلطة السياسية من أجل بلوغ هدف الحرية، وجب عليها الاهتمام بذاتها لإدراك هذه الحرية والوصول إليها من خلال تعرفها على ذاتها وتحرير نفسها من تلك السلطة القهرية التي كانت تمارس هيمنتها عليها من خلال طرق مختلفة مثل الترويض، وكذا طريق الانضباط سواء كان ذلك عن طريق الشعائر الدينية التي تعلنها الكنيسة، أو عن طريق مراسيم وقرارات تنتجها السلطة الإنسانية يفرضها معلمون ورجال ساسة لقول الحقيقة عن طريق الإفصاح والكلام. وقد رجع فوكو ليكمل نظريته حول الذات وعلاقتها بالحقيقة ليستحضر لنا ذلك النموذج الرواقي المتمركز حول العودة إلى النفس باعتبار أن هذه الأخيرة هي غاية في حد ذاتها وفنا له طابع تقييمي تقيم به ذاتها وتقيم به الوجود بأكمله، بعد عودتها إلى نفسها لتصل إلى الحقيقة لتعدل ما يجب تعديله فتضبط ذاتها بذاتها وتنتهي إلى التحرر والاستقلال التام الذي لا تحكمه سلطة القانون وتنظم حياتها بأسرها لكي تصنع هدف معين لها.² ظل فوكو يبحث عن السبيل المخلص للذات من العنف الذي يكتنف حياتها ومن ثمة تصبح قادرة على صنع خطابها بنفسها وترسم الطريق لحياتها دون تدخل أي سلطة سواء اجتماعية أو دينية أو قانونية.

¹ - أنظر: عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، دط، 1989، ص293.

² - عياد البطنجي: العودة إلى النفس والمسألة السياسية عند ميشيل فوكو، صفة ثالثة منبر ثقافي عربي، 12 أغسطس 2017، ص2.

يقول فوكو: « هكذا غيرت مشروعي بالكامل: لقد حاولت البحث هناك بعيدا حول كيف تكونت الذات، بالنسبة للذات نفسها، تجربتها الجنسية كربة. من أجل إبراز هذه الإشكالية، كنت ملزما بالعودة إلى النصوص اللاتينية والإغريقية القديمة جدا، والتي تطلبت مني الكثير من الإعداد والمجهودات، والتي تركتني حتى النهاية حائرا ومتريدا في مواقف متعددة».¹ إن فوكو انطلق في دراسته للذات من الحضارات السابقة بما في ذلك اليونانية هذه الأخيرة ركزت في دراستها للذات على الجانب النفسي، في حين أن فوكو على خلاف ذلك فهو ركز على الجسد.

إن التحليل الفوكوي للنموذج اليوناني الذي خص به العناية بالنفس من أجل ضبطها للوصول إلى الحقيقة، لأنه بالنسبة لهؤلاء كانت الروح هي الطريق الوحيد الموصل لمجمل الحقائق، ونظرا لهذه الدراسة الفوكوية في التاريخ القديم بما في ذلك التاريخ اليوناني، فقد كان إهتمام فوكو على عكس هؤلاء كون أن إهتمامه إنصب على الجسد، ذلك الجسد الذي تم إخضاعه للإنضباط وتأديبه بواسطة العقاب القانوني من خلال تقنيات المراقبة، التي كانت مفروضة طوال تلك الفترات، فقد كان الجسد مهماً آنذاك. واعتبر مصدر الشر والشهوات والنزوات، لذلك وجب ترويضه فلا يمكن أن يكون مصدرا للحقيقة.² انطلق فوكو في بحثه عن الحقيقة من الحضارات السابقة وقد خالفهم فهم انطلقوا من النفس بينما فوكو انطلق من الجسم.

« أما إبستمولوجية فوكو الخاصة، خطابه الخاص الذي قاله عبر الكشف عن الخطابات الأخرى المشكلة لبنى التاريخ المعرفي، فهي هذا المايحدث بالذات، أي الحجر عن التناهي الذي منح حتى الآن من دخول حيز العلوم الإنسانية. فالما يحدث، التناهي يتحقق ويحدث عبر تمفصلات العالم المحيط بالذات، في حين تظل

¹ - محمد زويته، حميد طاس: حوار مع ميشيل فوكو، ص203.

² - جون ليشته: خمسون مفكرا أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ص237، 238.

الذات متشبهة بكل سفائر ورموز سلطتها المطلقة الخاصة»¹. يتضح لنا من خلال هذا أن الإيستيمية التي يدعو إليها فوكو تهدف إلى مساءلة الذات باعتبار أن هذه الذات هي ذات عارفة تقول الحقيقة.

يقول فوكو: «هناك نضال من أجل الحقيقة أو على الأقل نضال حول الحقيقة وغني عن التأكيد أنني لا أعني بالحقيقة مجموع الأشياء الصادقة التي يكون علينا اكتشافها أو جعل الآخرين يتقبلونها وإنما مجموع القواعد التي نميز عن طريقها الحقيقي عن الخاطئ فننسب إلى الحقيقي سلطة ذات تأثيرات خاصة»². بمعنى أن الحقيقة التي يرمي إليها فوكو إنما هي مؤسسة عن إرادة المعرفة الذاتية التي تركز على الخطابات المنطوقة مثل الجنون والشواذ. كون أن هذه الخطابات الذاتية هي وحدها من تقول الحقيقة.

واستنادا لهذا يقدم لنا فوكو أربعة أشكال لقول الحقيقة أدرجها لنا كالتالي:

1- قول الحقيقة للنبي: اعتبر فوكو أن الذات النبوية تنقل لنا حقائق، هذه الحقائق تستمدّها هذه الذات من عالم علوي مفارق للعالم المحسوس الدنيوي، أي عالم خال من الأهداف والمساعي والمصالح الإنسانية، فالنبي في قوله للحقيقة يسعى دوماً إلى تحقيق مصالح العباد، فذات النبي على حد تعبير فوكو هي ذات تقول الحقيقة المطلقة والثابتة باعتبار أن منبعها هو آت من عالم النور مناف لما هو في عالمنا هذا، عالم الزيف والأخطاء والرغبات، فالنبي هو بمثابة الوسيط أي أنه حلقة وصل بين الإله والعباد، حيث أنه ينقل لنا كلام الله الموجه إلى الناس، كما أن النبي يمثل نقطة توصلنا بين ما نعيشه في حاضرنّا وبين ما كان كائن في الماضي المنقضي

¹ - ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ص16.

² - ميشيل فوكو: تدبير الحقيقة، ترجمة محمد سبيلا، عبد السلام بلعبد العالي، دط، دت، ص1.

في زمن معين، من أجل أن يظهر لنا حقائق كنا نجهلها في أزمنة انقضت عبر التاريخ الإنساني، كما أن للنبي وظيفة أخرى تتمثل في أن النبي يقوم بعملية تأويل وتبيين معاني كلام الله وفق المقصد المراد إيضاحه للبشر، فالنبي هو وحده الشخص الذي يقوم بإعطاء مد العون للناس من أجل فهم مقصد الله بكلامه الملتبس الموجه لعباده لكن رغم كل هذا المجهود الذي يقوم به النبي في نقل الحقيقة للخلق، إلا أنه يبقى للبشر لبس حول هذه الحقائق، لذا وجب أن تسعى الذات الإنسانية إلى البحث والكشف عن الحقيقة من خلال الإجتهد المستمر لتحقيق القيم الأخلاقية التي وجب على الإنسان التحلي بها.¹ إعتبر فوكو النبي شخص يوصل لنا المعارف التي ليس لنا دراية بها ويساعدنا على فهمها من أجل العيش السوي.

2- قول الحقيقة للحكيم: إن الذات الفلسفية تختلف عن الذات النبوية في قول الحقيقة واليقين، فالفيلسوف يختلف عن غيره من الذوات التي تنتج الحقيقة، لأن الفيلسوف يتكلم باسمه ولا يتكلم باسم الآخرين، لأن مهمة الحكيم تختلف عن مهمة غيره كونه يسعى إلى إيذاء الحقيقة بتفسيره لما هو كائن وراهن في الوقت الحالي، أي أنه عكس النبي الذي ينقل الحقيقة على ما كانت عليه في السابق، ومن هنا يختلف تمام الاختلاف النبي. وقد إهتم الحكماء منذ زمن "أفلاطون" في تفسيره الجانب الفيزيقي للوجود. ومن هنا فهو يسعى لتوجيه الناس وإيضاح طريقهم للوصول إلى الحقيقة التي تخصهم في حياتهم الفعلية.² يهدف الحكيم دوماً إلى صنع طريقة مثلى لإعطاء حلول لمجمل القضايا التي تخص اللحظة المعاشة للوجود بأكمله.

3- قول الحقيقة للمعلم: يقول فوكو: «إن هذه القسمة التاريخية قد أعطت، بدون شك، لإرادتنا في المعرفة صورتها العامة، ولكنها مع ذلك ما فتئت تنتقل: فالتحولات

¹ - محمد زويته: الإنهمام بالذات جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة، ص 87.

² - عبد السلام دخان: ميشيل فوكو وإرادة المعرفة.

العلمية الكبرى يمكن أن تقرأ أحيانا كنتاج لاكتشاف ما. يمكن أيضا أن تقرأ على أنها ظهور لأشكال جديدة ضمن إرادة الحقيقة (...) إرادة معرفة يملئها وبصورة أكثر عمومية من أية أداة محددة المستوى التقني الذي يتعين أن نستعمل فيه هذه المعارف حتى تكون قابلة الاختبار ومفيدة¹. تفهم من خلال هذا أن فوكو قد أعطى للمعلم أو التقني مسؤولية إنتاج الحقيقة كنوع من أنواع الحقيقة. وقد يكون هذا التقني معلم أو رياضي أو رجل حرفة يملك حقائق ويعلمها وينقلها للناس.

كما يقول أيضا: «والحال أن إرادة الحقيقة هاته: تتركز مثلها في ذلك مثل سائر منظومات الإبعاد، على دعامة مؤسسة فهي في نفس الوقت مدعمة وموجهة من طرف قدر هائل من الممارسات كعلم التربية طبعا، ومثل منظومة الكتب، والنشر والطبع، والخزانات، ومثل الجمعيات العلمية سابقا أو المختبرات اليوم²». بمعنى أن الحقيقة هنا قد تكون من إنتاج مجموعة من الأفراد الذين لهم القدرة على بناء المعارف في شكل كتب، أو دور النشر والمطابع وغيرها وفق تقنيات خطابية مختلفة.

4- قول الحقيقة للسياسي: يعتبر هذا النوع من التصريح بالحقيقة السياسية إنما هو مقتصر على السياسي دون غيره، فهو يقوم بتوجيه الشعب نحو ما ينبغي أن يكون في المدينة، ويفرض قراراته وفق ما يراه مناسب، باعتباره هو الموجه الذي يعطي لهم الحقيقة حتى ولو كانت لا تناسبهم، لذا ينبغي عليهم تقبل تلك الحقيقة التي يقدمها لهم، سواء كانت هذه الحقيقة متعلقة بالنتائج المتوصل إليها داخل الاجتماع في المجلس أو حتى لو كانت بمثابة منفعة للأمير الذي يحكمهم³. يسعى الرجل

1 - ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ص8.

2 - نفسه، ص9.

3 - محمد زويطة: الإنهمام بالذات جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة، ص85، 86.

السياسي دوما إلى المصلحة الجماعية للمواطنين وللمدينة التي يعيشون فيها وذلك من خلال تقديم الإرشادات المناسبة لبناء الدولة.

بعد أن أدرجنا أشكال الحقيقة كما حددها لنا فوكو وفق هذه الرؤية، اعتبر فوكو أن الحقيقة دوما تواجه نوعا من الرقابة عليها، ففوكو يزيح كل تلك السلطات التي تدعي إنتاج الخطاب، فهو قد شرح لنا بنية الخداع والمراوغة تلك البنية التي يقوم عليها كل خطاب، فهو قد بين لنا تلك اللغة التي يقوم عليها الخطاب مثل كلمة إفعل ولا تفعل أي أمر ونهي بمعنى أنه بين لنا تلك الألفاظ مثل لفظة الرقابة والمعاقبة القائمة على سلطة الإعراف هاتين الكلمتين إنما يدلان على القوة التي يفرضها المجتمع، معناه تلك الذوات التي تدعي إمتلاك سلطة الخطاب مثل سلطة السجن على المسجونين، وسلطة المعلمين على التلاميذ، هؤلاء الجماعات التي إدعت حق إمتلاك الخطاب، تلك الجماعة التي حرمت الذوات الأخرى بأن يكون لها خطابها لتعبر عن كل ما يدور في جوفها، هؤلاء هم من يمارسون قوة الإستعباد والتسلط بحجة خدمة الحقيقة، إن فوكو يرفض ذلك الأسلوب الذي ينحى منحى تقليدي مثل الفيلسوف، الطبيب، مؤرخ، معلم، تلك الممارسات الخطابية التي تدعي إمتلاك الأشكال المعرفية والعلوم قد اكتسبت في حقيقة الأمر صفة النظم الرسمية.¹ حاول فوكو تهديم تلك الرؤية الكلاسيكية التي تدعي إنتاج الحقيقة، وحاول إعطاء الحرية للنفس في إنتاج خطابها فهي وحدها مصدر كل خطاب.

فقد عمل فوكو على أنه رفض رفضا مطلقا بأن تكون لؤلئك حق إمتلاك الخطاب. كما أنه نبذ مدرسة التحليل النفسي التي تبلورت في القرن العشرين. على أنها إرادة توصلنا للحقيقة من خلال إبراز العلاقة بين المريض والطبيب، فإن فوكو

¹ - جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، دط، 1996، ص126.

يعتبر "فرويد" صحيح أنه كان من أهم رجال عصره يصغي إلى المجانين محاولاً بذلك الوصول إلى الإكتشاف والتفريق بين ما هو معقول واللامعقول من خلال التتويم المغناطيسي إلا أنه لم يحرر هؤلاء المرضى من سلطة الطبيب، فقد عجزت هذه المدرسة في أن تقضي على تلك السلطة التي يمارسها الأطباء على المجانين، فهي لم تحرر هؤلاء المرضى من العبودية التي خضعوا لها.¹ يثني فوكو على مدرسة التحليل النفسي ويعطي لها الفضل في أنها فسرت لنا الحالات العقلية واللاعقلية، إلا أنه يعتبرها بأنها ليست سوى تقنية سلطوية.

يقول فوكو في كتابه إرادة المعرفة: «كما أن أركيولوجا الجنسية (...) أو التحليل النفسي على طريقة فرويد (...) كذلك أن خارجية الذات وتقنيات ممارستها، ليست في التواصلية مع الآخر كذات (...) لكنه يشكل سباقات للرهان على الفوز بالحقبة التي ليست فوزاً بتواصلية معينة مع الخارج (...) فلا تعني منطق علاقات القوى الذي يشكل أساس التحليل النفسي الفرويدي». ² المراد من هذا أنه لم يكن علينا أن ننتظر هذه المدرسة لكي نتعرف على الحقيقة، لأن الحقيقة هي موجودة فينا، فهذه المدرسة قد عجزت في أن تكشف عن الحقيقة التي هي مخبأة وراء الجسد.

ومن هنا فإن فوكو قد أبرز لنا تلك الأساطير الوضعية أو أسطورة الأطباء على غيرهم وهو في هذا لا يسند تلك الدوافع الشريرة إلى اعتقادهم بأنهم على صحة وأن أفكارهم سليمة وصادقة وحقيقة، حيث أنهم على سبيل المثال أصبحت المستشفيات مزدحمة أشد الإزدحام بالمرضى، هذه الملاحظة العينية والنفعية على حسب فوكو هي من جعلت الأطباء يملكون حق إمتلاك الحقيقة في المنطوقات الإستشفائية.³

1 - جون ستروك: النبوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، ص 134.

2 - ميشيل فوكو: إرادة المعرفة تاريخ الجنسية، ص 9.

3 - مجموعة من المؤلفين: التحليل الثقافي، مكتبة الأسرة، القاهرة، د.ط، 2009، ص 214، 215.

وهذا ما عاد على المرضى بالصفة السلبية فمورست عليهم كل أشكال التسلط من طرف المؤسسات الإستشفائية.¹ بين لنا فوكو عيوب وأخطاء الأطباء الذين كانوا يعتقدون بسلامة أفكارهم المطلقة، ولكن هته الأفكار في حقيقة الأمر ليست سوى طريقة من أجل التحكم في المرضى وإضفاء الطابع التسلطي عليهم.

كل هذا التحليل الذي قام به فوكو لجنيالوجيا الذات بدءا من الحضارات السابقة بما فيها اليونانية والمسيحية إلى المرحلة الحديثة وصولا بذلك إلى اللحظة المعاصرة، كان يهدف من خلاله إلى الكشف عن كيفية تكوين الذات الإنسانية وطرق تأسيسها على قواعد وأسس مبنية على قيم أخلاقية، وفضائل هذه الأسس لا تكون مستتبطة ومفروضة من طرف المجتمع سواء كان قديم أو حديث أو معاصر، كما أن هذه الفضائل الأخلاقية لا يجب أن تكون مستمدة من التعاليم الدينية التي تفرضها الكنيسة المسيحية، وإنما يجب أن تكون هذه القيم والفضائل نابعة من الذات الفردية نفسها، فهذه فوكو كان تخلص الذات التي هي في تبعية دائمة للآخرين، ومن هنا يجب أن لا تبقى هذه الذات سجيئة لتلك القوانين المفروضة عنها، بل يجب أن تتحرر تمام التحرر، لتصبح قادرة على صياغة قوانين صادرة من تلقاء ذاتها.² أراد فوكو من تحليله هذا تأسيس مبدأ أخلاقي فردي ذاتي محض خال من كل سلطة سواء دينية أو مستتدة على المبدأ العرفي للمجتمع.

يقول فوكو: «أنا أفكر في هذه الأخلاق بنفس الصيغة التي تناولها في فكر معاصريها، أي باعتبارها فنا للوجود.أو، من باب أولى، تقنية العيش. لقد كان المقصود هو معرفة كيف يتحكم المرء في الحياة الخاصة به كي يضيف عليها أجمل شكل ممكن في أنظار الآخرين وأنظار الذات وأنظار الأجيال المقبلة التي يمكن أن

¹ - مجموعة من المؤلفين: التحليل الثقافي، ص 215.

² - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص 65، 66.

تشكل نموذجاً بالنسبة لها. هذا ما حاولت إعادة بناءه. أي تشكيل وتطوير ممارسة للذات تهدف منها أن تكون، هي نفسها، صانعة لجمال الحياة الخاصة بها.¹ بمعنى أن إنشغال فوكو بالذات كان هدفه هو أن يستتبط الطريقة التي يمكن بها للفرد أن يحكم نفسه وحتى غيره.

¹ - ميشيل فوكو: هم الحقيقة، ترجمة مصطفى المسناوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006، ص107.

الفصل الثالث

نظرية السلطة بين الدولة والمجتمع

المبحث الأول: السلطة والدولة

المبحث الثاني: السلطة والمجتمع

المبحث الثالث: أشكال السلطة

المبحث الرابع: الحرية والعقلانية في الحكم

المبحث الأول: السلطة والدولة

« لعل ما يبدأ به فوكو هنا هو السؤال أين الدولة في هذا الخصم الهائل من التفاعلات في شبكة علاقات القوة، باستراتيجياتها وتكتيكاتها وميكانيزماتها؟ أو بعبارة أخرى ما وضع الدولة في التحليل السياسي لفوكو؟⁷ يبدو هنا أن فوكو يتساءل عن الدولة الجديدة التي تمتلك القوة في السلطة، بمعنى أن هذه القوة ليست مطلقة وإنما قد تتغير بفعل ميكانيزمات.

نجد أن فوكو من خلال تحليله لمسألة السلطة قد استبعد مسألة الدولة ومسألة الحكم رغم أنه لم ينفي علاقتهما بمفهوم السلطة فنحن نعلم أن فوكو لا يحصر السلطة في الدولة وأنه لا يوجد هناك مصدر للسلطة في الدولة ولكنه في الوقت نفسه لا يقلل من شأن وأهمية الدولة لكن دون التركيز عليها فقط كما فعل أصحاب التيار اليساري واليميني (الماركسية والليبرالية) وهو بذلك يوضح ما فعلته الثورة البلشفية وذلك من خلال أنها غيرت جهاز الدولة ولكنها لم تغير مفاعيل السلطة.² لم يعطي فوكو اهتماما بالغا للدولة بل كان يعتبرها لا مصدر لها وبذلك تكون السلطة بعيدة عن الدولة فهو كان ضد التصور الماركسي.

إذ يرى فوكو حتى وإن كانت الدولة هي الأكثر أشكالاً واتساعاً وامتداداً في المجتمعات الحديثة بالنسبة للسلطة، فهذا لا يعني أن الدولة تستغرق كل أشكال السلطة، وبذلك فهو يرى بأنها ما هي إلا أحد أشكالها وأجهزتها الأكثر تمثيلاً، وبالتالي فإن السلطة ليست منحصرة فقط في الدولة بل موزعة في كل مكان تظهر

⁷ - محمد صفار: تفكيك مفهوم القوة عند ميشيل فوكو إعادة فتح الملف الإيراني، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 2017، ص103.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص242، 243.

في نقاط وخصوصيات محددة، أي تنتج مفاعيل في أشكال خصوصية، وبالتالي لا يجب أن تحجبها على شجرة الدولة.¹ يعني هذا أنه بالرغم من تعدد أشكال الدولة وامتدادها الواسع في المجتمعات الحديثة هذا لا يعني أنها تستطيع أن تمتلك كل أشكال السلطة وبذلك فهو يعتبر أن السلطة لا يمكن أن تنحصر فقط في الدولة.

وبذلك يوضح فوكو عدم رغبته في أن يدعو نفسه منظرا سياسيا، وذلك عندما اجتث رأس الملك، ماتت نظرية الدولة أيضا، وتم كذلك استبدالها بعلم الاجتماع وعلم النفس، ففوكو يعتبر العالم السياسي بلا مركز عملي كالملك بلا رأس، يقول فوكو بأن الدولة لم تكن شرعية لزمان طويل. لأنهم كما قال هوبز أن هؤلاء المسؤولين خلقوا وشرعوا إخضاعهم بالتخلي عن حقوقهم للدولة، وبالتالي هنا أصبحت الدولة عادلة ومدافعة عن الحقوق، ففوكو يقر بأنه لا تزال هذه الدولة موجودة لكنها مازالت تخفي الإجراءات الفعلية للقوة ومن هنا وجد إخضاع جديد لهؤلاء المرؤوسين الجدد.² يعتبر فوكو هنا الدولة اضمحلت عندما قطع رأس الملك وبالتالي لم يعد هناك من يسير أمورها وأصبح العالم السياسي بلا مركز.

إن تاريخ السلطة هو ما ترويه السلطة عن نفسها، لكن ما يلاحظه فوكو أن النبالة قد بدأت في رواية خطاب تاريخي ضد خطاب الدولة عن نفسها، وبالتالي فإن هذا الخطاب سيقوم بتفجير وظيفة المعرفة التاريخية ذاتها. وهذا كله سيظهر مع "بولانقيليه"، وخطاب النبالة الرجعي في نهاية القرن السابع عشر، يبدو أن فوكو في هذا التغيير والإنقلاب كله بسبب الدولة وهي التي تخترق الحق والقانون القديم للمؤسسات، وبالتالي فإن موضوع التاريخ الجديد الذي يتحدث في الرواية التاريخية

¹ - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة ، ص 106، 107.

² - ميشيل وولزر: السياسة عند ميشيل فوكو، ص 55.

سيظهر عندما تكون الخطابات الإدارية والقانونية للدولة بعيدة عنها.¹ إن الأمة هنا حسب فوكو هي التي ستأخذ الكلمة وليست النبالة وهذا بدوره يقودنا إلى حدوث تغيرات في النظم السياسية داخل المجتمع.

يقول فوكو: «إن ما يحدد الأمة في ظل هذه الشروط، ليست قدمها ولا سلفيتها ولا علاقتها بالماضي، إنما ما يحددها هو علاقتها بالدولة (...) وما يميزها هو العلاقة العمودية التي تذهب من جسد الأفراد التي تحتل إنشاء الدولة إلى الوجود الفعلي للدولة ذاتها (...) وبالتالي فإن تحقيق الدولة هو الذي سيميز الأمة. وهذا يعني ما يشكل قوة الأمة (...) هو قوة الدولة (...) فالأمة ستكون قوية كلما امتلكت قدرات الدولة».² يرى فوكو أن الدولة تشكل الأمة وما يحدد هذه الأمة ويميزها هي الدولة ذاتها.

«وبذلك نشأت الدولة القانونية كنظام تمثيلي برلماني باعتبارها الواجهة للعملية التاريخية التي أصبحت البرجوازية من خلال الطبقة المسيطرة في القرن الثامن عشر (...) فقد كان تطور الميكانزمات الانضباطية الجسدية التي شكلت القاعدة للحريات القانونية، واخترقت الهياكل القضائية للدولة (...) التي مكنت أجهزتها وأعضائها من أن تكون مؤثرة وفعالة على خلاف الأنظمة القضائية».³ ما أراد فوكو قوله بأن للميكانزمات الانضباطية وجهاز الدولة القانوني رغم الاختلاف بينهما إلا أنهما أعم وأشمل للسلطة في المجتمع وهذا كله راجع إلى إضفاء الطابع التسييري في الدولة الحديثة.

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 144.

² - نفسه، ص 220.

³ - محمد صفار: تفكيك مفهوم القوة عند ميشيل فوكو إعادة فتح الملف الإيراني، ص 109.

لا شك بأن النظام الليبرالي الغربي وعلاقته بنشأة الدولة التنظيمية الرشيدة الحديثة كان ذلك بسبب الاهتمام بتأسيس دولة القانون أو النظام البرلماني التمثيلي وهو مطمح من مطامح الليبرالية، وهذا بالضرورة يقودنا إلى أن النظرية الليبرالية لا تمثل نظرية متماسكة وإنما ما تمثله هو الممارسة التاريخية الفعلية وهذا يؤدي إلى غياب البعد القانوني وتضم من قبل الدولة في الأجهزة الإدارية والتجمد في ميكانزمات السلطة، وهذا بدوره يؤدي إلى طمس حرية الأشخاص، وبالتالي هنا وجوب ربط مفهوم الدولة بممارسة الحكم وهذا يوحى إلى النظر لليبرالية كشكل من أشكال التذكير النقدي في الممارسة الحكومية ونوع من المعقولية السياسية الهادفة إلى توجيه سلوك الناس عبر إدارة تابعة للدولة آخذين بعين الاعتبار التقنيات والأبعاد الإقتصادية لمعرفة كل ما يهم الدولة بشأن السكان والحياة، لكن هذا التنظيم إكتسى طابعا سياسيا وعقلانيا في القرن الثامن عشر أطلق عليه الألمان بعلم السياسة.¹ يلاحظ فوكو أن الدولة في القرن الثامن عشر قد جعلت كل ما من شأنه أن ينمي قوة الدولة وذلك من أجل خدمة رعاياها والحفاظ على الأمن والقوانين.

« فالنظام الليبرالي ينظر إلى نشاط الدولة في الحكم والتنظيم على أنه نشاط متجاوز دائما للضرورة، أي أنه من منظور الليبرالية، التي تطرح المجتمع وليس الحكم كغاية (...) يعني حينما تتبنى الدولة مشروعا، لا يكون التساؤل الأهم بالنسبة للنظام الليبرالي منصبا على أفضل الوسائل وأقلها تكلفة لتحقيق هذا المشروع، وإنما على مدى شرعية وغاية هذا المشروع ». ² يتضح هنا أن الليبرالية تبدو أحيانا كرؤية ملائمة لتحقيق الحكم وتارة أخرى منافية له وهذا راجع إلى تأثيرها بالواقع الإقتصادي.

¹ - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص 422.423.

² - نفسه، ص 421.

« وفي هذا الصراع العام للمعارف التكنولوجية فيما بينها، تدخلت الدولة وقامت بوظيفة ودور الانضباطية، وبالتالي قامت الدولة بدور الانتخاب والإنسجام والتراتبية المركزية والمعرفة التاريخية، كانت جزءا من خطاب الدولة والسلطة حول نفسها، وعندما تم فصلها وفكها من السلطة وأصبحت وسيلة للصراع السياسي (...) وهنا كانت محاولة من طرف الدولة والسلطة لضبطها ¹. قامت الدولة بوضع إمكانيات لازمة وقواعد انضباطية بغية حل تلك الصراعات مثل الانتخاب والانتفاضة.

المبحث الثاني: السلطة والمجتمع

تعتبر فلسفة ميشيل فوكو أنها تهتم بالواقع اليومي الذي يعيش فيه الفرد داخل المجتمع، ففوكو حاول التنقيب والحفر داخل الحقل الاجتماعي، من أجل فهم ما يحدث، ولعل دراسته هته أراد من خلالها التعرف على الرابطة التي تربط الفرد بمجتمعه، من خلال محاولة الفرد التعرف على نفسه داخل الفضاء الاجتماعي للمجتمع الحديث الذي يعيش فيه. ² بمعنى أن دراسة فوكو تمحورت على توجيه نظره حول ما يحدث في الممارسة اليومية داخل المجتمع سواء حديث أو معاصر.

1- السلطة والفرد:

يقول جيل دلوز: « تحول تولد ذات الإنسان الحر إلى إنقياد وإذعان. وخضوع للغير عن طريق التحكم في أفعاله والإرتباط بالآخرين مع كل إجراءات التقرد والتميز التي تقيمها السلطة، والتي يكون موضوعها الحياة اليومية لأولئك الذين ستتعتهم

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 190.

² - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص 7.

بأنهم ذواتها، وجوانيتهم «¹. هذا معناه أن السلطة أصبحت تحاصر حياتنا اليومية فأُمسّت تخترق الأفراد وتظهر عبرهم، وتتحكم في حياتهم.

فمحاولة فوكو في عرضه لدور السلطة لإخضاع الأفراد في المجتمعات المعاصرة من خلال تبين آليات التطبيع التي انتهجتها السلطة للتحكم في ذوات الناس داخل الحقل الاجتماعي الانضباطي والتي تم عرضها سابقاً، فإنه حسب فوكو اعتبر أن الحادثة قد تأسست بوجه عام على التحكم في الأفراد وإخضاعهم ومراقبتهم والتحكم فيهم في كل من الجانبين الإقتصادي والسياسي والاجتماعي، بأن تصب موضع إهتمامها على الأفراد.² فالفرد أصبح مقيد بالسلطة ولم يعد بوسعه الإفلات من يدها فهي قد بسطت نفوذها عليه من خلال مؤسساتها.

إن التحكم الجيد في الذوات الفردية يكون من خلال المراقبة المستمرة لمجمل نشاطاته المختلفة والمتنوعة، وذلك من خلال ضبط كل عمل من أعماله، هذه السمة الانضباطية للمجتمع الحديث نجدها في مجمل المؤسسات المختلفة كالمدارس والمستشفيات والمصانع وغيرها. من خلال الهياكل الخاصة بالسلطة فهذا التوسع الهائل للمجتمع الانضباطي قد جعل الفرد فيه محاصر تمام الإنحصار كل خطوة يخطوها.³ هذه الميزة للمجتمع الانضباطي أرادت خلق وتكوين فرد مفيد يعمل لصالح هذه السلطة.

يقول ميشيل فوكو: «إن مجتمعنا ليس هو مجتمع المشاهد، بل مجتمع المراقبة، فتحت مسطح الصور، تتم السيطرة على الأجسام بالعمق، وراء التجريد الكبير

¹ - جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص111.

² - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص113.

³ - نفسه، ص111.

للتبادل، (...) ولم تعد الكلية الجميلة للفرد مبنية، مقموعة، معطوبة بفعل النظام الاجتماعي، بل إن الفرد فيه يصنع بعناية وفقا لتكتيك كامل للقوى والأجسام¹. فالسلطة لم تكتفي فقط بالتحكم في أجساد الأفراد، بل تجاوزت ذلك إلى أن وصلت إلى بناء وتأسيس الفرد وفقا لسياستها الخاصة.

2- السلطة والمجتمع:

لقد إنطلق فوكو في تحليله للمجتمع المدني الليبرالي، وهو ما يطلق عليه المجتمع إسم المجتمع الانضباطي، بدءا من نص "فيرغسون" إلى "جون لوك" إلى "سميث".

1- آدم فيرغسون:

إن فوكو قد أبرز بتحديد أربع خصائص للمجتمع المدني عند فيرغسون وهي كالتالي:

أولاً: لا وجود للحظة تاريخية لهذا المجتمع، بل إن الاجتماع هو أمر ضروري، وطبيعة يتميز بها البشر، فالإنسان اجتماعي بطبيعته.

ثانياً: أن المجتمع المدني إنما هو تأليفة طبيعية تتأسس بطريقة عفوية بمعنى أنه لا وجود لعقد قانوني مصطنع بين الأفراد. والرابط الذي يجمع الأفراد هو العلاقة الاجتماعية لكنه بالرغم من وجود علاقة إقتصادية أيضا بينهم إلا أن هذه الأخيرة تهدد الرابطة الاجتماعية².

¹ - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص222.

² - حسين يوسف بوبكر: مفهوم المجتمع المدني عند ميشيل فوكو بين تقنيات الحكم وامكان المقاومة،

www.dohainstitute.org/.../art812.aspx.

ثالثاً: أنه يجب وضع ضرورة الإجتماع البشري كشرط أول لظهور المجتمع المدني على الرغم من أن المجتمع المدني لا يمكن فصله عن ما هو سياسي.¹ من خلال هته السمات التي منحها فيرغسون المجتمع المدني يتضح لنا أنه أراد تأسيس المجتمع المدني على أساس منفصل عن كل ما هو مصلي وكل ماله علاقة بالجانب الإقتصادي.

رابعاً: أما الخاصية الرابعة فهي قد تمثلت في أن فيرغسون يحذرنا من طغيان الشأن الإقتصادي كون أن هذا الشأن يؤدي إلى تدمير وهدم وتكسير الحياة الأخلاقية العامة للمجتمع المدني، فهو كان يخشى من أن يطفو الرابط الإقتصادي على الأخلاقي ومن هنا يتحول المجتمع المدني إلى آلية تهدف إلى خلق الثروة أكثر من تكريس الحياة الخلقية والمدنية.² ففيرغسون أراد رد الاعتبار إلى المبدأ الأخلاقي وأن يخفف من نفوذ المصلحة الشخصية وتأسيس مجتمع مدني قائمة على أساس القيم الأخلاقية الفطرية، بحيث يجعل المجتمع المدني مبني على شرط طبيعي أولي للتطور الأخلاقي بدلا من قيامه على أساس عقدي.

2-جون لوك:

ما يميز الرؤية الفرغيسونية للمجتمع المدني عن تحليلات فلاسفة العقد الإجتماعي من بينهم جون لوك الذي أراد تأسيس المجتمع المدني على العقد حيث يقول جون لوك: «إن الطور الطبيعي لا يخلو من آفات. وآفاته الكبرى أن كل إمرئ فيه هو الخضم أو الحكم في جميع القضايا التي تعنيه وهو مايلجئ البشر عادة إلى الخروج من الطور الطبيعي والإلتحاق بالمجتمع، من أجل إقامة سلطة مدنية عامة تهيمن

¹ - حسين يوسف بوكير: مفهوم المجتمع المدني عند ميشيل فوكو بين تقنيات الحكم وامكان المقاومة.

² - جون إهرنبرغ: المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، ترجمة علي حاكم صالح، حسن ناظم، المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص191، 192.

عليهم جميعاً وتطبق بنود السنة الطبيعية بتجرد وإنصاف¹. يفرض لوك وجود أفراد إجتماعيين في حالتهم الطبيعية، دون اللجوء إلى الدولة بمعنى أن المجتمع المدني حسبه قائم بذاته ومنفصل عن الدولة.

كما يقول أيضاً جون لوك: «المجتمع المدني بمعنى أدق نشأ عن تنازل المرء عن الصلاحيات التي كان يتمتع بها إبان الطور الطبيعي، وتتلخص هذه الصلاحيات عند لوك في اثنتين: صلاحية المحافظة على ذاته وعلى ذوات سائر البشر (...) وصلاحية إنزال العقوبات الخارجية على تلك السنة². يقصد بهذا أن المجتمع المدني ما هو إلا مجموعة من تلك العلاقات المتبادلة بين الأفراد على أساس عقد قانوني.

3- آدم سميث:

و تتوضح لنا ملامح المجتمع المدني أكثر فأكثر عند آدم سميث الذي أقام المجتمع المدني على أساس أنه اعتبره عبارة عن نسيج من الاعتماد المتبادل تنظمه السوق، وما تنقله هذه السوق يجب أن يشتمل على معنى حديث للحرية الفردية، بحيث أنه يجب على الفرد أن يكون مقيد بقيود تحول بينه وبين إختياره للعمل، ففهم سميث للسوق يستوجب أن يسير العمل دون إرتباطه بأي شيء آخر دون حرية للفرد³. بمعنى أن السوق لا يكون مرهون بأي قيود خارجة عن رغبة الفرد وميوله الشخصي.

ويحاول في كتابه "ثروة الأمم" التدليل على أن الفرد يسعى من خلال أفعاله إلى مصلحته الخاصة. ومن خلال بحثه عن منفعة الشخصية فهو بذلك ينتج بطريقة ما مصلحة إجتماعية شاملة، فعلى سبيل المثال، تؤدي المساومة التي نتكدها إلى خلق

¹ - جون لوك: مقال في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية، بيروت، دط، 1959، ص 18، 19.

² - نفسه، ص 21.

³ - جون إهرنبرغ: المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، ص 199.

منظومة سوق تختص لموارد بكفاءة عالية. وبهذا ننتهي إلى تعزيز مصلحة المجتمع بأكمله من دون أن تكون نية مسبقة لهذا ودون أي علم بأن الأفراد يقومون بتعزيز هذه الفائدة.¹ أي أن الفرد في مجال الإقتصاد يسعى دائماً نحو تحقيق غايته الفردية وهو بهذا ينتهي إلى تحقيق الربح العام بطريقة غير مباشرة وبشكل غير متعمد.

فسميث يبني لنا المجتمع المدني ويتناوله على أنه مبادئ وقيم سوقية، يكون منبعها الأساسي هو الإستقلالية الذاتية التامة، ويذكر لنا في مؤلفاته "فلسفة التشريع" "وثررة الأمم" بأن آدم سميث قد إعتبر أن سلطة البوليس تقف عائداً أمام تحصيل الإقتصاد القومي من خلال سلوك البوليس الذي يعمل على التنظيم الصارم للعمل الإقتصادي، لذا وجب على البوليس أن يفتح المجال الواسع للخيارات الحرة للفاعلين الإقتصاديين.² هذه الرؤية التي قدمها سميث تفتح المجال للأفراد بتحقيق أهدافهم الخاصة وهذا ما يعود في النهاية على التطور الإجتماعي والإقتصادي.

يقول سميث: «إن كل فرد يجهد نفسه باستمرار كيما يجد الإستخدام الأكثر ربحاً لأي رأس مال يستطيع أن يديره، فما يدور في ذهنه هو منفعة الخاصة وليس في الحقيقة منفعة المجتمع، ولكن معرفته بمنفعته تقوده بشكل طبيعي، أو بالضرورة، إلى تفضيل الإستخدام الأكثر نفعاً للمجتمع». ³ هذا ما يطلق عليه آدم سميث إسم اليد الخفية أو اليد اللامرئية والتي هي مجموع المصالح الفردية التي تقود في النهاية إلى المصلحة المجتمعية أي الجماعية.

¹ - إيمون باتلر: آدم سميث مقدمة موجزة، ترجمة: علي الحارس، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط1، 2014، ص89، 90.

² - بارى هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ص 148.

³ - أنظر: جون أهرنبرغ: المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، ص204.

ومن خلال هذا يتضح لنا أن المجتمع المدني عند الفلاسفة الليبراليين فكما رأينا أن آدم فيرغسون أراد التوجه إلى الرؤية الأخلاقية لبناء المجتمع المدني في حين أن جون لوك أراد تأسيسه على أساس عقدي وأرجعه بذلك إلى العلائق العقدية القائمة على القانون والسياسة، في حين اختلف عنهم آدم سميث وأراد تأسيسه على أسس إقتصادية.

وهذا ما أكدته عزمي بشارة حين عبر عنه بقوله: « وكان المجتمع المدني، في كل يوم من الأيام، هو ذلك التصور لمجتمع خارج الدولة قائم على إقتصاد السوق ثم أصبح يرتبط بتوسيع حقوق المواطنة مقابل الدولة، ولكنه زال أو زالت خصوصيته، مع تحققه في مفاهيم السوق والمواطنة والديمقراطية (...) وبعد كل تحقق له، كان يظهر من جديد بمعنى جديد (...) أي أنه وليد فرز جديد كل مرة ¹. فالمجتمع المدني كل مرة يظهر له مفهوم مغاير لما كان عليه من مفكر لآخر.

أما فيلسوفنا المعاصر ميشيل فوكو فقد إستعمل في تحليلاته للسلطة صفة المجتمع السلطة والتي ركزت على الحياة، وعلى تدبير شؤون الأفراد. ومن أهم هذه التكنولوجيات المدني الانضباطي، الذي إعتبره بأنه تلك الحصيلة التاريخية التي أنتجتها تكنولوجيا إستخدامها لأنماط الانضباط ومن أبرزها المراقبة التي فرضتها على كل مناحي الحياة بما في ذلك الجنس والسكان والمدارس والسجون إلى غير ذلك، وقد نجم عن هذا الانضباط تشكيل وصنع أفراد يشكلون المجتمع الانضباطي. أو المجتمع الليبرالي الرأسمالي، فمجتمع الانضباط هو نفسه المجتمع الرأسمالي وهو أيضا نفسه مجتمع المراقبة، سواء كانت رقابة مخصصة على الإقتصاد الذي نجد فيه اليد العاملة المنظمة والميسرة والمضبوطة أو على الناحية الإجتماعية، حيث نجد

¹ - عزمي بشارة: المجتمع المدني دراسة نقدية، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط6، 2012، ص23.

فيها تنظيم السكان والتزايد الديمغرافي، ولهذا نجد أن الرأسمالية حسب فوكو لا تعمل فقط على إنتاج السلع والأسواق، بل تتعدى إلى الحياة الاجتماعية لتنتج أفراد كذلك.¹ ومعنى ذلك أن المجتمع الليبرالي هو نفسه ما اصطلح عليه فوكو بالمجتمع الانضباطي الذي يعمل على مراقبة الأفراد وصنع ذواتهم وفقا للرؤية السلطوية الرأسمالية.

يقول فوكو: « فالإنضباط لا يمكن أن يتطابق لا مع مؤسسة ولا مع جهاز، إنه نمط من أنماط السلطة، ونموذج من نماذج ممارستها، يشمل مجملا كاملا من الأدوات والتقنيات، والوسائل، ومستويات التطبيق، والمرامي، إنها فيزياء أو تشريح للسلطة إنه تكنولوجيا ». ²

فالمجتمع الانضباطي ليس سوى تقنية من تقنيات السلطة تهدف إلى السيطرة على الفرد والمجتمع معا لخدمة الصالح السلطوي.

واعتبر فوكو في نقده للسلطة التي شكلت المجتمع الرأسمالي، هذا المجتمع الذي لم يكن في نظره سوى شبكة من السلطات المطبقة والمعتمدة على الإجراءات الانضباطية والرقابية التي تعمل بشكل كلي على تدريب الأفراد وإعادة هيكلتهم من خلال استعمال مجموعة من الإجراءات والأساليب التي تؤدي في نهاية المطاف إلى صنع أفراد جاهزين للانخراط في المجتمع.³ هذه السمة للمجتمع الانضباطي الحديث يبدو كأنها تصنع حدودا على ممارسة العنف والقوة بغية خلق وتكوين أناس مفيدين.

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص252.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص221.

³ - بول فيين: أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر، القاهرة، ط1993، ص6.

يقول ميشيل فوكو في كتابه يجب الدفاع عن المجتمع: «يمكن فعليا أن يشكل عمق المجتمع المدني وأن يكون في الوقت نفسه، المبدأ والمحرك لممارسة السلطة السياسية».¹ هذا المجتمع هو تابع للسلطة ويمثل حدود ضبطها من خلال مؤسسات ومراكز عملها، سواء في السجون أو المدارس أو المستشفيات من أجل السيطرة الاجتماعية والاقتصادية.

العلاقة بين الفرد والمجتمع عند فوكو:

إن جهود فوكو في مجال أركيولوجيته ليست إلا مجرد تطلعات وقراءات للحظات تاريخية ماضية وحاضرة لتاريخ الفكر الغربي أظهر من خلالها قضايا معرفية واجتماعية وسياسية واقتصادية وأخلاقية تجمع وتحكم على الرابطة التي تربط الفرد بمجتمعه والتي تعطي المجال للفرد بأن يتعرف على نفسه داخل الدولة الحديثة والمجال السياسي لحياة الفرد والجماعة، باعتبار أن الفرد هو جزء من ذلك المجتمع.² فعلاقة الفرد بمجتمعه هي علاقة اتصالية وضرورية بحيث لا يمكن معرفة الفرد لذاته إلا من خلال مجتمعه فهو جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه.

إمكانية المقاومة في المجتمع المدني:

لم يقدم فوكو تحليلاً واضحاً للمقاومة في المجتمع المدني الإنضباطي، إلا أنه أشار إلى ذلك من خلال ربط السلطة بالمقاومة حيث يقول: «فالسلطة ليس لها الهيمنة المطلقة والثابتة، بل إن المقاومة وبأشكالها المختلفة تخترق السلطة، (...) يجب أن نفهم أن المعنى من السلطة (...) ليست السيادة ولا القانون ولا المصلحة ولا

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص45.

² - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص7.

الإرادة ولا القصد، إنها لا تنتمي إلى الطرح القانوني لمبدأ السيادة، وكذلك الحال بالنسبة للمقاومة، فهي ليست من باب القانون أو ما يسمى بحق المقاومة. إن السلطة والمقاومة يتجاوبان بتكتيكات متغيرة متحركة ومتعددة».¹ هنا يربط فوكو بين السلطة والمقاومة، ويبين بأنه كل من المقاومة والسلطة لا ينتميان إلى العقد القانوني ولا إلى سيادة واحدة.

كما يقول أيضا في كتابه هم الحقيقة: «هذه المقاومة التي أتكلم عنها ليست جوهرًا، وهي ليست سابقة عن السلطة التي تواجهها، إنها مساوية لها في الامتداد ومعاصرة لها قطعًا».² أي أنه أينما توجد سلطة فمن الطبيعي ومن الضروري أن تكون هناك مقاومة ملازمة لها.

ويؤكد فوكو على موقفه هذا بقوله أيضا: «ذلك أنه إذا لم تكن المقاومة سوى فهذا فلن تقاوم. ولكي تقاوم ينبغي لها أن تكون مثل السلطة. لها من روح الاختراع، ومن الحركة الإنتاجية ما للسلطة. تنتظم وتتخثر وتتوحد مثلها ومثلها - كذلك - تأتي من تحت».³ فالمقاومة الناجحة والإيجابية هي التي تدرك وتفهم آلية وكيفية اشتغال وعمل الأنظمة السلطوية لكي تستطيع مجابهتها والتصدي لها، فكما أن السلطة توجد في أسفل العلاقات الاجتماعية، فكذلك المقاومة أيضا توجد في أسفل المجتمع.

المبحث الثالث: أشكال السلطة

إذا كانت الدولة خلال القرن السادس عشر تمثل نموذجا للسلطة، وهي لا تخص الأفراد فقط وإنما بمصالح الجماعة في حد ذاتها، أو كما يقول: بمصالح الطبقات

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 8، 9.

² - ميشيل فوكو: هم الحقيقة، ص 95.

³ - نفسه، ص 58.

السائدة، ويرى فوكو أنه بالرغم من وجود أشكال للدولة فهي بذلك لا تخلو من تقنيات ووسائل دقيقة من أجل تطويع الأفراد والسيطرة عليهم، وهنا يلاحظ فوكو بوجود تقنية سلطوية كنسية قديمة وهي:

1- السلطة الرعوية: وجدت هذه السلطة أو فكرة الراعي أو الوالي وفقا لدراسات "بول فين" في النصوص اليونانية القديمة أو عند بعض المؤلفين من العهد الإمبراطوري. وقد عرفت هذه السلطة إنتشار واسع في الشرق وخصوصا في المجتمع العبري. لأنهم كانوا يتميزون بمجموعة معينة من السمات من بينها: أن سلطة الراعي لا تمارس على إقليم ثابت بقدر ما تمارس على عدد وافر من الناس يعني أنهم كانوا عبارة عن جماعة متقلة وليست ثابتة وذلك من أجل تحقيق هدف ما، وبالتالي يكمن دورها في تقديم وتوفير القوت للقطيع ورعايته يوميا وتأمين سلامته، وأن هذه السلطة لا تمارس التفريد بين الأفراد.¹ نفهم من هنا أن للسلطة الرعوية مفاهيم وأصول تاريخية من بينها الأصل العبراني ، وهذه السلطة لا تمارس على فئة معينة بل تمارس على كافة الأفراد من أجل تحقيق هدف ما.

يرى فوكو أن ممارسة السلطة في المجتمعات اليونانية والرومانية القديمة لم يكن لها مرشد لكي يسير شؤون الناس، وظل على تلك الحالة حتى ظهور المسيحية وانتشارها في أوروبا وذلك من أجل إنتشار علاقات قوة جديدة ويبدو هنا أن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي نظمت نفسها في صورة كنيسة، أي فرضت قيام مجموعة من الأفراد بدور الراعي للمجتمع، ويؤكد فوكو على خصوصية السلطة الرعوية في المجتمعات الشرقية وهكذا كان فرعون هو الراعي المصري.² نجد هنا أن المسيحية

¹ - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص53،54.

² - محمد صفار: تفكيك مفهوم القوة عند ميشيل فوكو، ص111،112.

لها الفضل في انتشار السلطة الرعوية لأنها جعلت من الراعي مسؤول على المجتمع لأنه كان يحرص على مصلحة قطيعه على عكس ما كان في المجتمعات اليونانية أن السلطة كانت من أجل تحقيق أهدافهم الشخصية فقط.

لكن في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ظهرت أزمة عامة للرعية. ويتمثل في البحث عن أنواع جديدة من العلاقات بين الراعي والقطيع، وكذلك في حكم الأطفال والعائلة والملك والإمارة، وبالتالي فإن طرح مسألة أسلوب الحكم للبحث بشكل عام، والقيادة، والانقياد، تزامن مع ظهور أشكال جديدة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ومع الهياكل السياسية الجديدة.¹ يبدو أن السلطة الرعوية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر سوف تواجه أنواع وأساليب جديدة في طريقة الحكم سواء كانت أشكال سياسية أو اقتصادية أو إجتماعية.

« إن السلطة الرعوية كما رأينا، لم تنتقل إلى الغرب إلا مع انتشار المسيحية ومع حلول القرنين الخامس عشر والسادس عشر (...) ثم إنتقالها التدريجي إلى الدولة (...) في هذين القرنين لم تنقرض السلطة الرعوية تماما ولكن بدأت تظهر بجانبها صيغ أخرى من صيغ التوجيه الروحي والإرشاد التربوي، كما ظهرت مباحث عديدة في فنون إدارة شؤون الأفراد وطرائق التعامل مع الطبقات العليا ». ² إن السلطة الرعوية إنتقلت بشكل كبير وتزامن ذلك مع إنتشار المسيحية، لكن مع حلول القرنين الخامس عشر والسادس عشر ظهرت تحولات جديدة إلى كيفية التعامل مع المصلحة العليا.

¹ - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص54.

² - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ص417، 418.

« هذا التحول الهام عبر مختلف فنون الحكم في نهاية القرن السادس عشر، وفي النصف الأول من القرن السابع عشر. وهو مرتبط بظهور داعي المصلحة العليا. وتم الانتقال من فن للحكم ذي مبادئ مقتبسة من الفضائل التقليدية(...) إلى فن تمتلك معقولية مبادئها الخاصة وفي مجالها التطبيقي الخاص في الدولة». ¹ وبالتالي مع ظهور هذا التغير أدى إلى خلق أثر كبير على السلطة وبذلك ترسيخ مبدأ مصلحة الدولة وهذا يقودنا إلى نهاية الفضائل التقليدية كالعدالة والكرامة وغيرها وهنا يكمن هدف الدولة وهو تنمية قوتها لكي تحافظ على استقلالها.

« السلطة الرعوية حسب فوكو ترتبط مهمتها بالخلاص، والتوجه إلى الحاجات الحيوية وإنتاج الحقيقة(...) من خلال تقنيات الاعتراف في شكلها الكنسي، (...) وإن كانت المهمة السياسية للكنيسة قد ضعفت منذ القرن الثامن عشر، فإن وظيفة المؤسسة الكنسية إتسعت خارج مؤسسة الكنيسة(...) حيث تم الانتقال من هم قيادة الناس إلى الخلاص في العالم، إلى فكرة وجوب ضمانه في هذا العالم». ² إن مهمة السلطة الرعوية هي الخلاص وذلك من خلال الاعتراف في الكنيسة لأن السلطة الرعوية تهدف إلى تحقيق النجاة والفلاح للأفراد في العالم الآخر.

ومن هنا سوف نتطرق إلى مجموعة من مميزات السلطة الرعوية من بينها مايلي:

- 1- تهدف إلى تحقيق خلاص الأفراد في العالم الدنيوي والآخرين.
- 2- السلطة الرعوية لا تأمر فقط، بل تضحى بنفسها من أجل رعيته، وهي تختلف عن سلطة الملك. ³

¹ - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص 54.

² - عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، ص 59.

³ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص 244.

3- السلطة الرعوية لا تهتم بالمجتمع فقط وإنما بكل فرد على حدى.

4- لا يمكن ممارسة هذا الشكل، دون معرفة ما يجول في رؤوس الناس وهذا ما يعرف بتقنية الإعراف وهي معروفة في المؤسسة الكنسية التي إستلهمتها الدولة الحديثة.¹

يظهر هنا أن الدولة الحديثة وإن اختلفت عن الدولة الرعوية، إلا أنها أبقت على الكثير من أهدافها، خاصة وسائل المراقبة فإن كانت السلطة الرعوية تريد تحقيق الخلاص في الآخرة فإن الدولة الحديثة تهدف إلى تحقيق الخلاص في الدنيا وذلك بواسطة الأمن والحماية، ولهذا نجدها قد تعددت الأجهزة في الدولة الحديثة، كجهاز الشرطة وتطورت المعارف وأصبح هدفها هو تحقيق أفضل وسائل الحكم وهو الحرية.² فالسلطة الرعوية إذن هدفها هو ضمان الخلاص للأفراد في العالم الآخر وبالتالي هنا من خلال السلطة الرعوية تشكلت دولة في شكل جديد وهذا بدوره أدى إلى تشكل الدولة الحديثة.

2- السلطة الإنضباطية:

نستطيع أن ننتقل مع فوكو إلى نوع ثاني من أشكال السلطة، يعني إلى تكنولوجيا جديدة، التي تعتبر أكثر سرية وغموضاً، وهي تدعى بالسلطة الإنضباطية كما سبق وأن رأينا تحولات السلطة، والتي كانت تمر عبر الجسد باعتباره موضوع ونقطة لمتناقضات السلطة، وقبل كل هذا لا بد من طرح تساؤل: ما هو الانضباط؟ وهذا ما يجيبنا عنه فوكو قائلاً: إنه نمط من أنماط السلطة، ونموذج من نماذج ممارستها، وهو يشمل جميع الأساليب والتقنيات والوسائل أو بعبارة أخرى فهو تشريح

¹ - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص245.

² - ميشيل فوكو: يحب الدفاع عن المجتمع، ص 7.6.

للسلطة، إنه تكنولوجيا. يرى فوكو بأن علاقة السلطة والإنضباط كآلية ممارسة لها أي لكي تصبح السلطة ممارسة لا بد أن تكون لديها الأداة القادرة على جعل كل شيء تحت الرؤية.¹

يرى فوكو أنه لا بد من وجود سلطة إنضباطية لكي تكون السلطة ذات ممارسة وذلك من خلال وجود آليات الإنضباط على الجسد من أجل مراقبته ومعاقبته.

لقد بين فوكو كيف أن هذه التقنيات الإنضباطية للسلطة كانت مدروسة بالدرجة الأولى على مستوى الفرد ذاته، وهذا أدى إلى تغيير في الإقتصاد السياسي للسلطة وكذلك في الأجهزة، وهذا بدوره يقودنا إلى مجالات معرفية ممكنة ومن ثم كيف أن إنضباطات السلطة المطبقة على الجسد ظهرت في الأجساد الخاضعة كالروح والذات والنفس وهنا لا بد من الانتقال من انضباطية الأجساد إلى إنضباطية متصلة بالمعارف، ومن هنا يمكن القول بأن هذه الإنضباطية عدلت نمط جديد بين علاقة المعرفة والسلطة وهنا ظهر ما يسمى بإكراه العلم.² وهذا معناه أن السلطة الانضباطية كان تركيزها على الجسد الاجتماعي، يعني إنضباط الجسد في المراقبة والعقاب ومن ثم أصبح إنضباط في المعارف وهنا تكمن علاقة المعرفة بالسلطة من خلال هذه الإنضباطات السلطوية.

السلطة الإنضباطية تختلف تمام الاختلاف عن السلطة السيادية لأن نظرية السيادة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت عبارة عن وسيلة نقدية ضد الملكية التي تعارض تطور المجتمع الإنضباطي، وكذلك كانت هي المنظمة للقانون التشريعي، يعني عندما أصبحت الإكراهات الإنضباطية تمارس كآليات للهيمنة وهذا

¹ - حيدر ناظم محمد: إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي، ص 125، 126.

² - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 189.

من خلال الجهاز القانوني المنشط والقوانين التشريعية لنظرية السيادة، باعتبار أن القانون والآلية التي تمارسها السلطة فلا يمكن لنا أبداً أن نطابق الواحد بالآخر، إن الانضباطات ستكون إذن حاملة لخطاب القاعدة ولكن ليست بالتشريعية المشتقة من السيادة، بل من القاعدة الطبيعية.¹ إننا بهذا نلاحظ وجود نمطين من الخطاب من جهة القانون يعني نظرية السيادة ومن جهة أخرى آلية الإكراه التي تكون بواسطة الانضباط على الرغم من أنهما مختلفين بشكل كلي إلا أن كل من السيادة والانضباط مشكلتان الآليات العامة للسلطة في المجتمع.

« فهناك الكثير من الأساليب الانضباطية منذ زمن بعيد، في الأديرة، في الجيوش ولكن الانضباطات أصبحت خلال القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر صيغا عامة للسيطرة (...) فهي تختلف عن تلك الانضباطات فيما سبق لذلك نجد أن الجسد البشري قد دخل ضمن آلية للسلطة تنقب فيه (...) وبالتالي فإن الانضباط يصنع أجساد خاضعة ومتمرسة، أجساد طيعة ». ² إن هذا التشريح السياسي الجديد كما سماه فوكو بالسلطة الانضباطية قد جعل من الجسد البشري في استعداد وقوة وهذا الانضباط ما هو إلا تشريح سياسي يستخدم عدة تقنيات وأجهزة متنوعة عبر نظم سياسية.

3- السلطة الحيوية:

يبدو أنه مع حلول القرن التاسع عشر ظهرت تكنولوجيا أخرى للسلطة ليست إنضباطية وهي ما يسمى بالسلطة الحيوية بعد ما كان المجتمع خاضعا لتلك الضوابط ، يعني تم الانتقال من المجتمع الضبطي إلى مجتمع أكثر تنظيمًا وهنا

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 60، 61.

² - ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ص 159.

أصبحت السلطة تهتم بالإنسان بوصفه كائناً حياً، وهذا راجع إلى النظرية الكلاسيكية في السيادة إلى ما كانت عليه، لأن حق الحياة والموت في النظرية الكلاسيكية للسيادة كان من الحقوق الأساسية في الواقع، يعني أن للملك أو العاهل حق الحياة والموت، بمعنى يستطيع أن يميت وأن يحيي وبذلك يكون للعاهل حق الحياة والموت على الرعية وفقاً للقانون. وعليه فإن حياة وموت الرعية لا يكونان حقاً إلا بإرادة العاهل.¹ نفهم من هنا أن السلطة الحيوية أصبحت تدير شؤون حياة الناس والتي إهتمت بالإنسان ككائن حي وليس كجسد.

يقول فوكو: «السياسة الحيوية وهي التي تعني الطريقة المستعملة منذ القرن الثامن عشر في محاولة عقلنة المسائل المطروحة على الممارسة الحكومية التي تتعلق بمجموعة من الأحياء، الذين يألّفون جملة السكان: الصحة، نسبة المواليد، طول العمر، الأجناس (...) يبدو أنه من غير الممكن عزل هذه المسائل عن إطار المعقولية السياسية (...) نعني الليبرالية كمبدأ أو كطريقة لعقلنه وممارسة الحكم»² إن السلطة الحيوية في نظر فوكو هي التي لها الحق في تدبير شؤون الأفراد لأنها بذلك تريد حل المسائل المطروحة.

ولقد تطورت هذه السلطة على الحياة، وهي تعمل على محورين أساسيين هما:

أ- **محور الجسد كآلة:** وذلك من خلال ترويضه، والرفع من كفاءاته وتدريبه من أجل زيادة قدراته وذلك لدمجه في منظومات للمراقبة، وكل هذا كانت قد أمنت إجراءات للسلطة التي تميز الأنظمة وقواعد الانضباط وهي تشريح سياسي للجسد البشري.

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 233، 234.

² - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص 59.

ب-محور الجسد كنوع: والذي نجده قائم على التكاثر والولادات والوفيات، ومستوى الصحة، ومدة الحياة، ويتم كل هذا من خلال سلسلة كاملة من التداخلات والمراقبات الإنتظامية وهذا ما يسمى ببيولوجيا سياسة للسكان.¹ وهكذا فإن هذين المحورين هما اللذان تعمل عليهم السلطة الحيوية من أجل تنظيم السلطة على الحياة ومن هنا أصبح هدف السلطة هو استثمار الحياة وليس القتل.

« السلطة الحيوية إذن موضوعها السكان ومنهجها مختلف التقنيات الإنضباطية(...) وغايتها الفعالية والوفرة والأمن إلا أن هذا المفهوم للسلطة طرأ عليه بعض التعديل(...) وذلك من خلال أحداث مايو 1968². » إذن كما رأينا أن موضوع السلطة الحيوية هو السكان وذلك باعتبارها سلطة تدير حياة الناس كما تستخدم أيضا مختلف أشكال الإنضباط من بينها عملية المراقبة والإمتحان.

وهذا يعني أن السلطة ملأت الحياة مع تحولها إلى سلطة حيوية، لدرجة أصبح من الصعب الإفلات من شبكاتها. تلك هي الحقيقة التي أعلن عنها جيل دلوز في كتابه الذي خص به ميشيل فوكو بأنه وصل إلى طريق مسدود، لأنه ظل حبيس علاقات السلطة، وعاجزا عن تجاوز ذلك، لكن دلوز سيشيد باكتشاف للمأزق الذي تضعنا فيه السلطة ذاتها، في حياتنا كما في تفكيرنا، نحن الذين نصطدم بها في أتفه حقائقنا.³ إن فوكو بهذا لا يريد إلغاء دور التقنيات والأنواع الأخرى كالسلطة الإنضباطية والرعية وإنما يريد بهذه السلطة الجديدة أن تعمل بنفس المحاور التي تعمل بها الأشكال الأخرى.

¹ - ميشيل فوكو: تاريخ الجنسية، ص116، 115.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص242.

³ - جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ص103.

« لا شك بأن السلطة الحيوية التي تعني بضبط وتأديب الجسد الآلة وتنظم وتتابع الجسد النوع من خلال إدماج الأجساد في العملية الإنتاجية كأجساد منتجة مطوعة وهو ما يتطلب تقنيات سلطوية قادرة على إدارة الحياة وتهذيب الطباع وتطويع الأجساد لإحداث التوازن الضروري بين الظواهرات السكانية والإقتصادية والتحكم فيها بأن معا».¹ إن السلطة بهذا المعنى تجعل الحياة محل الحق وأصبح هاجسها هو الأحياء ولم يعد يهمها القانون.

وفي الأخير ما يمكن إستنتاجه أن السلطة الإنضباطية والحيوية ليستا مستقلتين عن بعضهما البعض ولا يمكن أن تنفي الواحدة الأخرى، بل بالعكس فإنهما متكاملتان لأنه بواسطتهما نستطيع فهم المعرفة والسلطة، هنا فإن كل محور من هاتين النظريتين يعمل في الوقت ذاته الذي تعمل فيه الأخرى.²

المبحث الرابع: الحرية والعقلانية في الحكم

إن الحكم من بين المواضيع التي ناقشها فوكو داخل علاقات السلطة، فهو قد إستعمل هذا المصطلح أكثر من موضع أثناء المقابلات التي أجريت معه، واعتبر أن الحكم لا يخرج عن نطاق السلطة التي هي منتشرة في الجسد الإجتماعي ككل، فالسلطة مثلا داخل الأسرة تبحث عن الكيفية التي من خلالها يمكن للزوج أن يحكم بها زوجته وأفراد عائلته، كما أن السلطة أيضا يمكن للإنسان أن يسير بها مؤسسة معينة، أو يسير بها الإنسان ذاته ويحكم بها عشيرته، أو يحكم بها كذلك دولة أو

¹ - حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، ص130.

² - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص8.

مجتمع معين.¹ إذن فالحكم منتشر مثله مثل السلطة في كافة العلاقات الإنسانية داخل الجسد الإجتماعي.

« يتابع فوكو مفهوم الحكم (...) لكن بعد مناقشته لمختلف نصوص تلك المرحلة يستخرج فوكو مصطلحا جديدا هو الحكمانية أو الحكومية (...) فإن الحكمانية تعني: مجموع المؤسسات والعمليات والتحليلات والحسابات التي تسمح بممارسة ذلك الشكل الخاص المعقد من السلطة، والذي يتخذ هدفا أساسيا هو السكان، (...) ويضيف في موقع آخر من دراسته لمفهوم الحكمانية، صفة التوجيه العام». ² ومفاد هذا أن الحكمانية حسب فوكو إعتبرها ممارسة تقوم بتحليل تلك التقنيات الملتبسة التي تمارسها السلطة.

« أما في حالتنا هذه فإن التساؤل هو عن كيف نحكم أنفسنا بأنفسنا، (...) أما هنا فأحاول أن أظهر كيف أن التحكم في الذات يندرج ضمن ممارسة للتحكم في الآخرين، وعلى وجه الإجمال فإننا هنا أمام سيبلين متعاكسين للعبور نحو نفس المسألة، وهي: كيف تتشكل تجربة تتربط فيها العلاقة بالذات مع العلاقة بالآخرين». ³ إن إنشغال فوكو بالذات كان هدفه هو إستنباط الطريقة المثلى التي يمكن بها للفرد أن يحكم نفسه ويحكم الآخرين.

«إن القاعدة المركزية في تحليل فوكو للسلطة هو إفتراضه المسبق بأن كل سلطة تقتضي الحرية، فلا يمكن أن تكون هنالك علاقات سلطوية إلا إذا كان الأفراد

¹ - بارى هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ص130.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، ص243.

³ - ميشيل فوكو: هم الحقيقة، ص105.

أحرارا»¹ وبالتالي فتصور فوكو للحرية على حد تعبيره لا يمكن فصلها ولا حتى تصورها خارج نطاق السلطة.

« هذه الحرية التي تظهر بحسب عبارة فوكو كما لو أنها لا يسعها إلا أن تقاوم ممارسة السلطة التي تنزع في النهاية إلى تحديد هذه الحرية كلية »². نلمس هنا أن فوكو يرى في الحرية إرتباط بالسلطة وأنه أينما وجدت سلطة وجب أن تكون هنالك حرية.

ففوكو من خلال تحليلاته نجده لا يتحدث عن الحرية، وإنما عن ممارسات الحرية وأن هذه الممارسات تقتضي بالضرورة درجة من التحرر أو التحرير، وبهذا نجد أن التحرر هو الشرط الضروري والأساسي للممارسة الحرة. وبذلك يعتبر فوكو أن هذه الممارسة الحرة تنظم في مجال الأخلاق وهذا ما نجده في دراسته للمجتمع اليوناني والروماني، فالأخلاق عند هؤلاء تمثل ممارسة حرة. لأنه من أجل تحقيق ذواتهم لا بد من الحرية التي تتطلب معرفة وسلطة في الوقت نفسه. وبالتالي فإن ممارسة الحرية تكون في علاقة مباشرة مع الآخر، وهنا لا يمكن فصل هذه الممارسة الحرة عن أي شكل من أشكال الحكم أو فن من فنون الحكم، إذن فالحرية عند فوكو ليست جوهرًا وإنما ممارسة تتعلق بفردانية تاريخية وبالتالي فهي ليست بحرية نهائية وإنما شرط للعمل، وأنها نهاية السلطة لهذا يرى فوكو أن حرية الناس لم تكن مقتصرة على قوانين أو مؤسسات، بل الضمان الوحيد للحرية هي الحرية ذاتها.³ اعتبر فوكو أن الحرية تكون عمل ممارس يقوم به الأفراد بمعنى تكون مسؤولية أي أن يكون

¹ - ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ص 22.

² - الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، 245.

³ - نفسه، ص 353.354.

للفرد حريته في أفعاله وسلوكاته، فالحرية التي يرمي إليها فوكو هي حرية مطلقة وواعية.

فالذات وفق تحليل فوكو لها الحق في أن تمتلك حريتها وأبرز مثال على ذلك ما ذكره محمد زويته: «عندما يبحث شعب مستعمر عن التحرر من مستعمره، فذلك الفعل هو ممارسة للحرية بالمعنى الدقيق والحصري ولكننا نعلم جيدا، داخل هذه الحالة المحددة على كل حال، بأن هذه الممارسات للحرية لا تكفي لتحديد هذا الشعب، هذا المجتمع أو هؤلاء الأفراد بأشكال ممكن قبولها عن وجودهم أو عن المجتمع السياسي»¹. إن بحث فوكو وتحليله هذا يؤكد على أنه بالرغم من أن الفرد يتشكل داخل العلاقات السلطوية، إلا أنه لا يجب السيطرة عليه وجعله أسيرا داخل السلطة أو المجتمع الذي يعيش فيه ومن هنا له كامل الحق في القيادة المضادة أي قيادة ذاته بذاته.

يرى فوكو من خلال أبحاثه في العلاقة التي تربط بين السلطة والعقلانية السياسية، أنه إعتبر أن الظاهرة العقلانية ليست في عامة الأفراد وإنما في الخصوصية والعمليات الجزئية وهي عكس ما كانت عليه في المجتمع الغربي الحديث، كما أن هذه العقلانية التي يتحدث عنها فوكو يمكن استخلاصها من التجارب الاجتماعية كظاهرة الجنون والجريمة والمرض... والأهم من هذا كله أن فوكو استطاع أن يعطي نوعا جديدا من أنواع البحث عن وسائل العقلنة والترشيد التي لازمت نشأة المجتمع الليبرالي الحديث.

¹ - محمد زويته: الإنهمام بالذات، ص 40.

لأن فوكو في تحليله للسلطة لا ينطلق من معقوليتها الداخلية وإنما من حيث إنعكاساتها على المجتمع.¹ يرى فوكو أن العقلانية في التسيير ليس التسيير الذي يخضع للهو وللأحكام أو السلطة القوية الحاكمة أو البرجوازية، بل يجب أن يخضع للفكر وبالتالي هنا نفس الفكرة التي ذهب إليها أفلاطون أن الذي يحكم هو الفيلسوف، بمعنى الأفكار المستتيرة هي التي تحكم السلطة.

إن ما يذكره فوكو بخصوص الليبرالية كمذهب سياسي يسلط إهتمامه على الحرية الشخصية للأفراد، وعلى وجه الخصوص دفاع الليبرالية عن الحرية الطبيعية للأفراد التي تقوم الدولة بانتهاكها في حق هؤلاء الرعايا وطبقاً لهذه الرؤية، فإن للدولة جانبان متوازنان ينبغي فهمهما لكي نتعرف على الآثار التي تخص الحرية الفردية، أما الجانب الأول فيعتقد فوكو بأنه من الضروري ومن الواجب أن توفر الدولة الجو المناسب للإحتفاظ بحرية الناس، أما الزاوية الثانية التي ينظر بها إلى الدولة أنها تكون تهديد لهذه الحرية الفردية. من خلال تلك الممارسات التي تقوم بها على مختلف شاكلات السلطة. ويقدم لنا فوكو رؤيته حول الليبرالية ويعتبرها بأنها عقلانية مميزة للحكم، لأن الليبرالية حسب توجه نظرتها الثاقبة للمجتمع في مختلف المجالات منها السياسية والإقتصادية والإجتماعية. وهذا كله بهدف تأمين الظروف الحسنة للأفراد وهذا هو الهدف الرئيسي لعقلانية الحكم، وانطلاقاً من هذا لا يمكن النظر إلى الحرية على أنها مأخوذة من دسترة قانونية لمعارضة مختلف أشكال العنف التي تستعملها السلطة إتجاه الذات من قهر واستبداد وتسلط، بل الحرية التي يقصدها فوكو هي التي أصبحت مشار إليها حالياً بأنها بؤرة رئيسية لعقلانية الحكم ذاتها فبفضل هذه العقلانية قد تحرر الإنسان من الإقطاع واللاهوت والطبيعة، غير أن هذه العقلانية لم تحقق المعنى الأصيل للحرية كونها تمارس أشكال التطويع واحتكار

¹ - محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة لدى ميشيل فوكو، ص414.

رغبات الجسد في نظم أخلاقية وقانونية.¹ كما نعلم أن الليبرالية قائمة على أساس الحرية الشخصية التي تمنحها للأفراد بغية تحقيق أهدافهم، ومن هنا ففوكو يحبذ النظام الليبرالي ويعتبره بمثابة الأنموذج الحقيقي لعقلانية الحكم.

يقول فوكو: « ينبغي تحليل الليبرالية، إذن، كمبدأ أو كطريقة لعقلنة ممارسة الحكم. عقلنة تخضع، وهنا تكمن خصوصيتها(...) المتمثل في أن كل عقلنة لممارسة الحكم تهدف إلى تأويل نتائجها مخفضة إلى أكثر حد ممكن من الكلفة بالمعنى السياسي ولا يقل الأمر شأننا عن ذلك بالمعنى الإقتصادي ». ² بمعنى أن النظرية الليبرالية تقوم على أساس عقلي في ممارسة الحكم في مختلف ميادين سواء الميدان السياسي أو الميدان الإقتصادي، فقد روجت العقلانية الليبرالية لحرية وهمية قائمة على إعتناق كل واحد الثقافة التي يشاء ولكنها في حقيقة الأمر احتجرت الفردانية وطوعتها لها.

إذن فكما يرى فوكو فإن العقلانية الليبرالية في الحكم قائمة على أساس الحرية التي تمنحها للأفراد، فهذه الليبرالية حسب فوكو هو تحرير الأفراد من كل نظام وسلطة اجتماعية تمارس على الناس بغية السيطرة عليهم كما أنها تهدف أيضا على تنمية سلوك الأفراد طبقا لمعايير ملائمة للمدينة والمجتمع والعقل وللنظام ككل ومن ثمة فهي تهدف إلى تنظيم سلوكهم الخاص والعام، بحيث يصبح الأفراد قادرين على طرح مشاكلهم التي يواجهونها ومن هنا طرح الحلول المناسبة لهذه المشاكل.³ ترمي العقلانية الليبرالية إلى جعل سلوكات المواطنين سلوكات خاضعة للوعي الإنساني لكي يتمكن الفرد من تسيير حياته الخاصة به ومن هنا تسيير الجماعة، فالإنسان القادر على أن يسوس نفسه فهو بالضرورة قادر على أن يسوس غيره.

¹ - بارى هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ص146.

² - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص60.

³ - بارى هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ص149،150.

« تتطلق العقلانية الليبرالية من المسلمة القائلة بأن الحكومة لا يتعلق الأمر هنا طبعاً بالحكومة كمؤسسة بل بالنشاط المتمثل في تنظيم سير الناس في إطار الدولة بواسطة أدواتها لا يمكن أن تمثل بالنسبة لنفسها غايتها الخاصة إنها لا تحمل في ذاتها مبرر وجودها ولا يمكن أن يمثل تأويلها، ولو بلغ أحسن الحالات الممكنة، المبدأ المنظم لها، وبذلك تقطع الليبرالية مع داعي المصلحة العليا».¹ بمعنى أن الليبرالية تهدف إلى بلوغ المصلحة الجماعية للمجتمع.

¹ - محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، ص 60.

خاتمة

الخاتمة:

من خلال معالجتنا لإشكالية البحث وتحليل مختلف العناصر المتداولة تبلورت لدينا بعض النتائج يمكن حصرها كالتالي:

إن منظور فوكو للسلطة قد تجاوز به التصورات التقليدية للسلطة، حيث أعطى مفهومًا مغايرًا للسلطة جعلها بذلك منتشرة في كل مكان، في مختلف الجسد الاجتماعي، كما أن السلطة حسبه ليست واحدة بل هي متعددة. وكان بحثه يركز على تلك الفئة المهمشة والمقموعة داخل المجتمع، وهذه الرؤية الفوكوية كانت مخالفة لما كانت عليه من قبل فهو تفرد بالخوض في هذه المسألة. فالسلطة على حسب تعبيره ذو طبيعة ميكروفيزيائية منتشرة ومفككة ومبعثرة في كل مكان.

وارتكز بحث فوكو للسلطة من خلال نقده ودحضه للتصورات الفلسفية الكلاسيكية بما في ذلك التصور الليبرالي، خاصة فلاسفة العصور الوسطى من بينهم توماس هوبز وميكيافيلي اللذان حصرا السلطة في بؤرة واحدة، فهما قد جعلتا السلطة متمحورة فقط في الجسد السياسي، أما فوكو فنظرته عكس ذلك فهو عالج مفهوم السلطة على أنها موجودة في الكيان الاجتماعي ككل بما في ذلك السجون والمستشفيات والمدارس وغيرها من الشرائح الاجتماعية.

كما دحض فوكو التصور الماركسي خاصة عند كارل ماركس الذي اعتبر السلطة تتجسد في جهاز الدولة، فالسلطة بهذا المعنى الماركسي متمركزة في مكان واحد، وهذا ما جعل فوكو يبحث عنها في كل مكان، فهي غير قابلة للامتلاك، فهو مارس عملية الهدم للسلطة وأتى بالبديل الذي اعتبر به أن السلطة هي إستراتيجية أكثر منها ملكية.

كما ركز فوكو على الذات المهمشة و المريضة الغير عاقلة، وعليه قدم نقدا لاذعا لفلسفة ديكارت الذي أعطى أهمية بالغة للذات العاقلة لإنتاج الحقيقة، وخالفه في ذلك واعتبر أن الحقيقة ليس من إنتاج العقل وحده بل المجنون كذلك يمتلك حقائق مختلفة. وربط أشد الربط إنتاج الحقيقة بالسلطة وأكبر مثال على ذلك تلك الطقوس التي كانت تمارسها سلطة الكنيسة للاعتراف بالحقائق الكامنة داخل النفس والإعلان عنها بواسطة الجبر. وهو بذلك يحث على السبيل الذي تتشكل به الذات الغربية، كذات لها حريتها في صنع خطاباتها، وبالتالي أراد إخراج الإنسان من دائرة التسلط، ليتحول الفرد إلى عارف يتعرف على ذاته كموضوع للمعرفة، وهذا ما جعل فوكو يخرج من الإبستمية السياسية إلى الجمالية في السلطة.

يرى فوكو أن المعرفة لا تخرج عن إطار السلطة، فالسلطة تنتج المعارف، فكلما زادت مكانة المعرفة في المجتمع ارتفعت سلطتها فيه، وأصبح لها بذلك نفوذ معرفي، فإن إنتاج مختلف المعارف خاضع لآليات السلطة فالذي يمتلك معرفة له القدرة على الإقناع والسيطرة على حياة الأفراد، ولمواجهة هذه السلطة المعرفية لابد من تدخل المثقف الذي له القدرة على الإلمام بمختلف المعارف ليقوم بدور التغيير ومواجهة هذه السلطة.

خاض فوكو مهمة الدفاع عن ذلك الجسد الذي كان عرضة لقوى متعددة ساهمت في إخضاعه وترويضه والسيطرة عليه، بمختلف الوسائل والآليات من فرض رقابة وعقاب

عليه في مختلف الأماكن : كالسجن والمصنع والمدرسة... وحاولت ضبطه وتطويعه داخل هته المؤسسات السلطوية.

أما فيما يخص الدولة عند فوكو فقد اعتبرها كيان يسعى وراء المصلحة، فالسلطة حسبه ليست سلطة الدولة التي تمارسها هيكلها في المجتمع بل الدولة هي نتاج واثر مجموع مختلف العلاقات السلطوية في المجتمع.

استعمل فوكو في تحليله للسلطة مصطلح المجتمع المدني أو الانضباطي الذي اعتبره بأنه ليس سوى نتيجة خلفتها السلطة من خلال تقنياتها المختلفة التي سعت من خلالها إلى التحكم في حياة الناس، بغية إنتاج أفراد طيعة لها من أجل خدمة أغراضها. لذا وجب تجاوز هذه السلطة والتحرر منها وذلك لا يكون إلا من خلال المقاومة وهذه المقاومة ليست خارج السلطة بل هي جزء منها وحاضرة في كل العلاقات السلطوية وهي ضرورية.

من خلال هذا فالسلطة من وجهة نظر فوكو أن مصدرها الحقيقي لا يأتي من قمة القاعدة الهرمية بل هي في أسفله، فهو لم يبحث عنها لا في الدولة ولا في القانون ولا داخل الممارسات السياسية، بل بحث عنها في المجتمع بمختلف شرائحه المهمشة

واعتبرها إستراتيجية معقدة داخل علاقات القوى، فهي بذلك ممارسة وليست شيء يمكن امتلاكه.

وظاهر ذلك أن فلسفة فوكو قد لاقت حضورا قويا في الفكر الغربي خاصة المعاصر وذلك من خلال ما قدمه منهجه الحفري النقدي للحضارة الغربية، حيث أن الكثير من الفلاسفة في دراساتهم اتبعوا منهجه التنقيبي وأبرز هؤلاء الفيلسوف جيل دلوز الذي اعتبر أن فوكو هو فيلسوف ذو أفكار ضخمة لأنه فكر بشكل مختلف.

وهذا لا يدل إلا على شيء واحد هو أن الفكر الفلسفي الفوكوي قد لاقى راجا كبيرا داخل الحقل الغربي.



قائمة

المصادر

والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1. ميشيل فوكو: إرادة المعرفة تاريخ الجنسانية، ج1، ترجمة مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د، ط.
2. ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، لبنان، دط، 1990، 1989.
3. ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، مركز الإيماء القومي، بيروت، لبنان، دط، 1990.
4. ميشيل فوكو: تاريخ الجنسانية إرادة العرفان، ج1، ترجمة محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2004.
5. ميشيل فوكو: تدبير الحقيقة، ترجمة محمد سبيلا، عبد السلام بلعبد العالي، دط، دت.
6. ميشيل فوكو: جينالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط2، 2008.
7. ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ترجمة، محمد سبيلا، التنوير، دط، دت.
8. ميشيل فوكو: هم الحقيقة، ترجمة مصطفى المسناوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006.
9. ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة: الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
10. ميشيل فوكو: تاريخ الجنون، ترجمة، سعد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005.

2- المراجع:

1. أوجين كامنكا: الأسس الأخلاقية للماركسية، ترجمة مجاهد عبد المنعم، ارلهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011 .
2. إيمون باتلر: آدم سميث مقدمة موجزة، ترجمة: علي الحارس، مؤسسة هنداي، القاهرة، ط1، 2014.
3. بارى هندس: خطابات السلطة من هوبز إلى فوكو، ترجمة ميرفت ياقوت، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2000، 1.
4. بول فيين: أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1993.
5. توماس هوبز: اللفيانان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب، بشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2011.
6. جمال نعيم: جيل دلوز وتجديد الفلسفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2010.
7. جون إهرنبرغ: المجتمع المدني التاريخ النقدي للفكرة، ترجمة علي حاكم صالح، حسن ناظم، المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2008.
8. جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي ستراوس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، ط1، 1996.
9. جون ستيوارت مل: أسس الليبرالية السياسية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ميشيل ميتياس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996.
10. جون لوك: مقال في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية، بيروت، ط1، 1959.
11. جون ليشته: خمسون مفكر أساسيا معاصرا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، المنظمة العربية، بيروت، ط1، 2008.

12. جيجيكة إبراهيمي: حفريات الإكراه في فلسفة ميشيل فوكو، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011.
13. جيل دلوز: المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
14. حسين موسى: الفرد والمجتمع عند ميشيل فوكو، دار التنوير، دب، دط، 2009 .
15. حيدر ناظم: إشكالية الفلسفة من النقد الأركيولوجي إلى الإبداع المفهومي قراءة في فلسفتي ميشيل فوكو وجيل دلوز، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2015.
16. خديجة زيتلي: الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكاليات، دار الأمان، الرباط، ط1.
17. ديف رونبسون، كريس جارات: أقدم لك ديكارت، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، دط، 2001.
18. رنيه ديكارت: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1988.
19. رودولف تشاينر: نيتشه مكافحا ضد عصره، ترجمة حسن صقر، دار الكلمة، دمشق، سوريا، دط، دت.
20. رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط1968، 2.
21. الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، دب، دط، 2000.
22. السيد ولد أباه: التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.

23. عبد الرحمان بدوي: خلاصة الفكر الأوربي نيتشه، وكالة المطبوعات، الكويت، ط5، 1975.
24. عبد الرزاق الدواي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، هيدجر ليفي ستراوس ميشيل فوكو، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1992.
25. عبد العزيز العيادي: ميشيل فوكو المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1994.
26. عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، دار المعارف، دط، 1989.
27. عزمي بشارة: المجتمع المدني دراسة نقدية، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط6، 2012.
28. علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات الصغرى، دار الروافد الثقافية، الجزائر، ط1، 2012.
29. عمر مهيبيل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005.
30. فريدريك نيتشه: هذا هو الإنسان، ترجمة علي مصباح ، منشورات الجمل، دط، دت.
31. مجموعة من الكتاب: مسيرات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، ط1، 2004.
32. مجموعة من المؤلفين: التحليل الثقافي، مكتبة الأسرة، القاهرة، دط، 2009.
33. محسن صخري: فوكو قارئاً لديكارت، مركز الإنماء القومي، حلب، ط1، 1997.

34. محمد الشيخ: المثقف والسلطة دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1991.
35. محمد حلمي عبد الوهاب: ولاية وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
36. محمد زويتة: الإنهمام بالذات جمالية الوجود وجراً قول الحقيقة، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2015.
37. محمد صفار: تفكيك مفهوم القوة عند ميشيل فوكو إعادة فتح الملف الإيراني، مكتبة الإسكندرية، مصر، دط، 2017.
38. محمد عقيل بن علي المهدي: الأخلاق عند الفلاسفة في اليونان والقرون الوسطى، دار الحديث، ماليزيا، ط1، 1997.
39. محمد علي الكردي: نظرية المعرفة والسلطة لدى ميشيل فوكو، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، دت.
40. محمد ميلاد: دروس ميشيل فوكو، دار توبقال، المغرب، دط، دت.
41. منير شفيق: الدولة والثورة رد على ماركس، إنجلز، لينين ومقاربات مع الرؤية الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
42. ميشيل ميتياس: هيكل والديمقراطية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مديولى، دط، 1996.
43. هيكل: محاضرات في تاريخ الفلسفة مقدمة حول منظومة الفلسفة وتاريخها، ترجمة خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
44. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، دط، دت.

3-المعاجم:

1. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
2. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، دت.
3. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر، بيروت.
4. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد 1، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
5. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972.
6. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، دط، 2007.

4- الدوريات والمجلات:

أ/المجلات:

1. جيل دلوز: هوامش على مجتمعات السيطرة، ترجمة يحيى محمد، 16 يونيو 2015.
2. الحادثة وما بعد الحادثة ميشيل فوكو: المدخل السياسي للصحة السياق التاريخي لتشكل المؤسسات والممارسات الطبية، 19 أغسطس 2016.
3. حسن المصدق: البيولوجية السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السلطة، تقنية السيطرة على الجسد في أعمال ميشيل فوكو، العدد 26، 2007/07/11.
4. الزواوي بغورة: مفهوم المعرفة والسلطة عند ميشيل فوكو، ابداع، العدد 4-5، افريل 2000.

5. عبد العزيز جادو: أضواء على فلسفة نيتشه، البيان الكويتية، العدد 1، 147 يونيو 1978.

6. عياد البطنجي: العودة إلى النفس والمسألة السياسية عند ميشيل فوكو، صفة
ثالثة منبر ثقافي عربي، 12 أغسطس 2017.

7. مارتن كيكوزيز: ماركس كما يتخيله فوكو حول السلطة والمجتمع، الأزمنة
الحديثة، المغرب، 1 مارس 2015.

8. ميشيل وولزر: السياسة عند ميشيل فوكو، ترجمة ممدوح عمران.

9. هاشم صالح: فيلسوف القاعة الثامنة، مجلة الكرمل، العدد 13، فلسطين، 1
يوليو 1984.

ب/الدوريات:

1. ادريس هواري: جينالوجيا الحقيقة عند ميشال
فوكو، WWW.aljabriabed.net/N13-02houari.htm

2. أشرف حسن منصور: نقد فوكو للنظرية الليبرالية في السلطة.

www.m.ahewar.org/a.asp?aid=18907&r=0 15:20

3. حسني إبراهيم العظيم: ميشيل فوكو وتأسيس سوسيولوجيا الجسد، الحوار

المتمدن. 4/5/2001، www.ahewar.org

4. حسين يوسف بوبكر: مفهوم المجتمع المدني عند ميشال فوكو بين تقنيات
الحكم والمقاومة،

www.dohainstitute.org/.../art812.aspx.

5. سیراج منیر: ميشال فوكو في مواجهة السياسة المثقف والسلطة، 12:35

2013، الموقع: <https://Siraj.monir.word press.com>

6. عبد السلام دخان: ميشيل فوكو وإرادة

المعرفة، 2014/12/06، .265511:31، www.alquds.co.uk/?p=265511:31

7. محمد الجاللي: المعرفة والسلطة في تصور ميشيل

فوكو، 02:112014.

، WWW.ahwar.org/s.asp?aid=204321&r=0

8. نجيب مجدوب: مفهوم السلطة عند ميشيل فوكو

، WWW.ahwar.org/s.asp?aid:426676&r=0201413:38

9. ويكيبيديا <http://wikipedia.Orgwiki>

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	شكر وعرافان
	إهداء
أ-د	مقدمة
29-6	الفصل الأول: موقف فوكو من الأطروحات التقليدية للسلطة
13-6	المبحث الأول: نقد النظرية الليبرالية
23-14	المبحث الثاني: نقد الماركسية
29-23	المبحث الثالث: مفهوم السلطة عند فوكو
86-32	الفصل الثاني: السلطة من منظور فلسفي
44-32	المبحث الأول: السلطة والمعرفة
63-44	المبحث الثاني: السلطة بين الصراع والسيطرة
86-63	المبحث الثالث: السلطة وعلاقتها بالذات والحقيقة
117-89	الفصل الثالث: نظرية السلطة بين الدولة والمجتمع
93-89	المبحث الأول: السلطة والدولة
102-93	المبحث الثاني: السلطة والمجتمع
111-102	المبحث الثالث: أشكال السلطة
117-111	المبحث الرابع: الحرية والعقلانية في الحكم
122-119	الخاتمة
131-124	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ